عنوان البحث:

السلام في الإسلام

د/ إبراهيم على أحمد محمد
المدرس بقسم الثقافة الإسلامية ـ كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.....وبعد؛؛؛

إن السلام طمأنينة للقلب، وسلامة للنفس، وحضارة للدنيا، وهو لب الإسلام، ومادته، والله هو السلام ، ومن هذا اسمه ، فهل من المعقول أن يقر الحرب في الأرض إلا دفاعا؟ كما أرسل رسوله برسالة السلام والرحمة للعالم قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[1].

والإسلام لم يكتف بضمان السلام ضد الحروب، بل تجاوزه إلى السلام تجاه كل شيء، حتى الجمادات سالمها وحرم الاعتداء عليها.

وإشكالية الجماعات التي تدعو للعنف ليست في الإسلام، وإنما في الأفكار الخاطئة، فبضاعتهم خمط، وأثل وشيء من سدر قليل، والتي صارت عقيدة مع مرور الزمن، ولأن الفكرة وحي السلوك صارت الفكرة .وليس الدين .هي المحرك الرئيس للسلوك، وظلت تلك الجماعات تسير خلف الأفكار الخاطئة دون مناقشة أو مراجعة حتى أخذت هذه الأفكار السفينة حتى صارت في الأعماق، وأصبحنا في ذيل الأمم، وقد يكون من بين أسباب تبني هذه الأفكار: الهوى، أو التنافس على السلطة، أو بعض الآراء الفقهية، ومن الآراء الفقهية التي تبنتها بعض العقول جهاد الدفع وجهاد الطلب، فجهاد الدفع علته الاعتداء، وجهاد الطلب .في قول البعض .علته فساد العقيدة، وعند البحث والاستقصاء نجد أن العلة واحدة

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧) .

في الجهادين، وهي الاعتداء بمعنى أن الآخر لو اعتدى على الدعوة، أو على المستضعفين، أو تجهز لغزو المسلمين، فأطلبه من أجل الاعتداء، أو الشروع فيه، أما الدعوة إلى الإسلام فلا تكن إلا بالحوار والإقناع، فالمعتبر في الكفر الدعوة، فان منعوها قوتلوا، والجهاد نفسه وإعداد القوة ما هم إلا عملية ردع للآخر حتى يرى تكافئ القوى، أو تفوقها، فلا تحدثه نفسه بالقتال، وبالتالي فلا يكون هناك قتال أصلاً، لذا فنحن في حاجة إلى مراجعة أفكارنا، ينبغي أن نرصدها، ونفكر فيها، ولا نسمح لغيرنا أن يدخل في عقولنا أفكارا خاطئة، فكن حارسا على أفكارك.

وعندما بحثت في موضوع السلام تبين أن الإسلام دين السلام بامتياز، فقد بعث الله نبي الرحمة برسالة السلام إلى العالم، وبقيت الحرب استثناء قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾[1] .

وتميزت العلاقات الدولية في الإسلام بأنها قامت مع الغير على أصول هي: التعارف، والبر، وكرامة الإنسان، والعدالة والمساواة، واحترام العهود والمواثيق، والتعاون الدولي ضد الاعتداء، والحرية الدينية، واحترام التعددية الثقافية وغيرها من المبادئ والتي وصل إليها العالم بعد ويلات من الحروب المستعرة خاصة بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، فأحدثوا هيئة الأمم المتحدة التي تهدف إلى السلام .

ومن أهم الأسس التي أسسها الإسلام ألا يرغم أحد على عقيدة معينة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[2] ومن ثم جعل وظيفة الرسول وأمته من بعده البلاغ قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ

(١) سورة الحج، الآية (٣٩) .
(٢) سورة يونس، الآية (٩٩) .

شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[1] وأغرب بعضهم فزعم أن الأصل في الإسلام الحرب فأذن بذلك، ورصف الكلام حتى كاد أن يتوارى السلام بالحجاب، ونسي أن الإسلام أحاط السلام بغلالة من الركائز الأساسية التي تعلي قيمة السلام، وتجعله أصلاً، منها أن السلام علم علي الذات الإلهية، وتحية أهل الجنة .في دار السلام .السلام، وجعل السلام تحية لأمتنا، وأماناً لأهل ذمتنا، واشتقت الرسالة الخاتمة من مادته، واختتم أعظم أركان الإسلام به، وكثرة تكرار لفظ السلام على هذا النحو .في القرآن والسنة .من شأنه أن يوقظ الحواس، ويوجه الأفكار إلى جعل السلام هو قانون الحياة، فالمسلم من سلم الناس والكون منه، إذ خلق الله الإنسان، وأسكنه الأرض يعمرها، قال تعالى:﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[2] وأمره أن يسالم كل ما فيها قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾[3] وآخى بين الناس جميعاً، باعتبار الأصل الواحد، وجعل غاية الوجود السلام الذي لا اعتداء فيه ولا ظلم، الهادف إلى تحقيق العدل والخير للبشرية.

ونحن اليوم في حاجة ماسة إلى السلام، وإذا لم يتحقق السلام لا نعلم مدى ستكون خسائر الحرب النووية التي قد تنشأ بين العالم، خاصة ونحن نعيش في جو ملتهب، وصراعات هنا وهناك، ومن هنا أصبح السلام ضرورة ليتحقق التقدم والرخاء بدلا من الحرب والدمار.

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان (٤٥، ٤٦) .

(٢) سورة هود، الآية (٦١) .

(٣) سورة الأعراف، الآية (٨٥) .

الدراسات السابقة:

هناك دراسات سبقت هذا البحث، وقد وقعتُ على بعضٍ منها، ومن هذه الكتب:

كتاب: قانون السلام في الإسلام لمؤلفه د/ محمد طلعت غنيمي، ط: مكتبة المعارف الاسكندرية ويقع في ثمانمائة صفحة من القطع الكبير، وجاء في ثلاثة أبواب: الباب الأول: مدخل إلى الدراسة وتحته أربعة فصول هي: الفصل الأول: السلام في الإسلام، ويتحدث تحت هذا الفصل عن الجهاد، ونظرية الحرب المقدسة، وخيول الله مسرجة. والفكرة في هذا الفصل تدور حول أن الجهاد الدفاعي يمكن أن يدور في حلقة السلام أما الجهاد الهجومي فينقض دعوى السلام من أساسها، و يزيل اللبس الذي يمكن أن يفهم من الآيات التي تدعو للقتال وفي الفصل الثاني يتحدث عن التنظيم الدولي الراهن لدار الإسلام، وتحت هذا الفصل يتحدث عن: الفقه التقليدي (نقد وتعليق)، وللعالم داران: إسلام وحرب. وفي الفصل الثالث يتحدث عن قانون السلام الإسلامي وجوهر القاعدة القانونية، ويتحدث فيه عن تعريف القانون الدولي الإسلامي، وجوهر القاعدة القانونية الإسلامية، وفي الفصل الرابع: يتحدث عن أصول القانون الإسلامي: وتحته مبحثان: المبحث الأول: تحديد معنى المصطلحات الواردة في الفصل. والمبحث الثاني: يتحدث عن مصادر قانون السلام الإسلامي، وهي القرآن والسنة والإجماع والعرف.....

والباب الثاني وهو بعنوان: في العلاقات الدولية في الإسلام، تحته ثلاثة فصول: الفصل الأول: في أشخاص القانون الدولي. والفصل الثاني: الاجتهاد السلطاني "المعاهدات". والفصل الثالث: في نظام الحضارتين "النظام الدبلوماسي" "والنظام القنصلي".

والباب الثالث: في الأموال الدولية، وتحته أربعة فصول الفصل الأول: الأنهار الدولية، والفصل الثاني: في أحكام البحر، والفصل الرابع: في قانون الفضاء، ثم ختم بحثه بباب ملحق بعنوان في تلوث البيئة.

كتاب: السلام مبادئ ومفاهيم: وهو للدكتور/ علي بن عبد الرحمن الطيار، ويقع الكتاب في مئة وثلاث وسبعين صفحة من القطع الكبير، وجاء في سبعة مباحث: المبحث الأول: مفاهيم السلام في اللغة، وعند الفقهاء. والمبحث الثاني: الإسلام دين السلام. وتحدث تحته عن نقطتين الأولى: مكانة السلام في الإسلام، وتحدث فيها عن أن السلام من أسماء الله تعالى، والقرآن الكريم تحدث عن المؤمنين وما ينبغي أن يكونوا عليه من خلق، كما عمل الإسلام على نشر كلمة السلام، والمبحث الثاني تحدث عن أسس السلام ومنها السلام في العقيدة، والسلام في حياة الفرد الخاصة، والسلام في العلاقات الإنسانية، وكفالة الحقوق، وتحدث في المبحث الثالث عن تحقيق السلام، والحاجة إليه، ودارت الفكرة في هذا المبحث على أن القوة هي حارسة للسلام، فهذا هو سلام الأقوياء وفي المبحث الرابع تحدث عن مبادئ السلام، وهي العهد، وعقد الذمة، والأمان والهدنة. والمبحث الخامس: تحدث عن السفارة، وصلتها بالإسلام. فتحدث عن مفهوم السفارة، والسفارة في الإسلام، ومفهوم مصطلح الدبلوماسية، وحماية السفراء والمبعوثين، والمبحث السادس كان بعنوان: إعداد القوة لحفظ السلام. وتحدث عن المفهوم اللغوي لإعداد القوة، ومشروعية إعداد القوة وأنواع إعداد القوة والمبحث السابع عن وسائل صيانة السلام، وهي الوحدة والتحالف، ثم الخاتمة، وفيها: بعض النتائج، وأهمها أن السلام في الإسلام حالة أصيلة.

كتاب الإسلام دين السلام للدكتور/ كرم حلمي فرحات، ط: دار الأفاق العربية، ويقع في مئة وخمسين صفحة من القطع الصغير، ويتحدث فيه الكاتب عن السلام، وطبيعته في الإسلام، ووسائل وأسباب تحقيق السلام، والسلام هو القاعدة الدائمة، والحرب استثناء، والسلام في عصر الرسالة، والسلام في العقيدة، والسلام في المعاملة، والسلام في القضاء، والسلام في الحوار، ثم تحدث عن بعض الحقوق منها حق الحياة والكرامة والحرية وغيرها.

وهناك كتب أخرى تحدثت عن السلام، منها: السلام العالمي والإسلام، للأستاذ الشيخ/ سيد قطب، ط:دار الشروق ويتحدث فيه عن سلام الضمير والبيت والمجتمع والعالم، وكتاب السلام المفقود ل "دنيس روس"، ط: دار الكتاب العربي ويتحدث حول خفايا الصراع في الشرق الأوسط، وكتاب السلام أولا لـ "أوري سفير" ط: دار الجيل – الأردن ويتحدث فيه عن تحديث مسارات السلام من خلال فصول الفصل الأول: الديمقراطية أولا، والثاني حول إحلال السلام بالطرق القديمة والثالث: حلقات ناقصة ومستجدات وتحدث تحت هذا الفصل عن بناء السلام وبيئة السلام، وفي الفصل الرابع تحدث عن السلام العصري..

وقد حاول الباحث من خلال اطلاعه على الدراسات السابقة، أن ينحو منحى، يضيف من خلاله جديدا إلى هذا الموضوع شديد الأهمية؛ لإظهار براءة الإسلام من الاعتداء والعنف والإرهاب، وأن الإسلام ما جاء إلا ليشيع السلام في الأرض، حتي الجهاد ما شرع إلا للسلام، ودفع الذين يُفسدون في الأرض، ولا يتركون للناس حرية العبادة، أو حرية العقيدة، وفلسفة حرية العقيدة هي أن يحدث تقارب بين أصحاب العقائد بدلا من الحاجز النفسي.الذي يسبب الكره بين الناس وفلسفة التقارب هذه تجعل صاحب العقيدة المغايرة ربما يعجب بأخلاق المسلم فيسلم كما فعل التجار قديما مع أصحاب العقائد الأخرى.

والقصص القرآني بين أن الله تعالى ما أهلك الأمم السابقة لكفرهم، فكفرهم عقوبته النار وحدها، وإنما لأجل فسادهم الذي هو ضد السلام.

وفي السيرة النبوية يظهر لنا حرية العقيدة وأن رسول الله ما قاتل أحدا لكفره، فالمعتبر في الكفر الدعوة فقط، وإنما قاتلهم من أجل الاعتداء وهو هنا منذ لسياسة القرآن الكريم ومنهجه في معاملة أصحاب العقيدة المغايرة.

خطة البحث:

وتشتمل خطة البحث على تمهيد: ويتضمن التعريف بمفردات عنوان البحث وستة مباحث وخاتمة تشتمل على أهم التوصيات والنتائج كما يلي:

المبحث الأول: مكانة السلام في الإسلام.

المبحث الثاني: جهود الإسلام لتحقيق السلام.

المبحث الثالث: السلام ومشروعية الجهاد.

المبحث الرابع: السلام والإرهاب.

المبحث الخامس: غاية السلام في الإسلام.

المبحث السادس: حاجة الناس إلى السلام وأثره على الواقع المعاصر.

خاتمة البحث: وتشمل على أهم التوصيات وأبرز النتائج.

منهج البحث:

سوف أتبع في بحثي المنهج الاستقرائي وذلك بتتبع النصوص الشرعية، وأقوال العلماء المتعلقة بالموضوع ونسجها في موضوع واحد، أما خطوات المنهج فتتمثل فيما يلي:

١-تتبع النصوص القرآنية مع عزو الآيات إلى مواطنها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢-تتبع النصوص النبوية مع تخريج الأحاديث والحكم عليها.

٣-ذكر أشهر أقوال العلماء المتعلقة بالموضوع.

٤-أختم بأهم التوصيات والنتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

❁❁❁

تمهيـــد:

تحديد مصطلحات البحث

تتطاير فكرة أن الإسلام جاء ليغسل الدنيا من الكفر غسلاً، وارتبط عند البعض الإرهاب بالإسلام، فهل الأصل في الإسلام السلام أم الحرب؟ وهل يؤيد الإسلام التعايش السلمي مع العالم؟ وهل يؤيد الحرية الدينية؟ أم جاء ليقاتل العالم كله. ويغسل الأرض من الكفر غسلاً؟ هناك نصوص تدعو للحرب، وأخرى تدعو للسلام، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تدل على جهاد الدفع، وجهاد الخلفاء في ظاهره يدل على الطلب؟ فأين الحقيقة هل الإسلام دين سلام أم دين حرب؟ هل نحن شركاء أم أوصياء؟ لكن قبل أن أتحدث عن هذا الموضوع لا بد من تعريف مصطلحات البحث، وذكر الجهود التي بذلت من أجل السلام عبر السنين.

أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للسلام والإسلام:

ا- تعريف السلام في اللغة: جاءت مادة السلام بألفاظ مختلفة في القرآن الكريم منها (سَلْم. سِلْم .سَلَم) و(سَلْم) على قراءة أهل الحجاز " فَأَمَّا الَّذِينَ فَتَحُوا السِّينَ مِنَ السَّلْمِ ، فَإِنَّهُمْ وَجَّهُوا تَأْوِيلَهَا إِلَى الْمُسَالَمَةِ ، بِمَعْنَى : ادْخُلُوا فِي الصُّلْحِ وَالْمُسَالَمَةِ وَتَرْكِ الْحَرْبِ وَإِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ . وَأَمَّا الَّذِينَ قَرَءُوا ذَلِكَ بِالْكَسْرِ مِنَ السِّينِ فَإِنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي تَأْوِيلِهِ ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يُوَجِّهُهُ إِلَى الإِسْلاَمِ ، بِمَعْنَى ادْخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ كَافَّةً ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُوَجِّهُهُ إِلَى الصُّلْحِ ، بِمَعْنَى : ادْخُلُوا فِي الصُّلْحِ "[1] ولم تفرِّق المعاجم بين السَّلْم والسِّلْم .بسكون اللام .إذ هما من المسالمة بمعنى الصلح وهو ما يقابل حالة الحرب والصراع ، قال ابن منظور: والسَّلْمُ والسِّلْمُ:

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠) المحقق: مكتب التحقيق بدار هجر. ط: دار هجر. الطبعة: الأولى ج٣ ص٥٩٧.

الصُّلْحُ، يُفْتَحُ وَيُكْسَرُ. وَيُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ "(١). والسَّلَم (بفتح اللام) يعنى الانقياد، والألفاظ (سِلْم. سَلْم. سَلَم) بينها تقارب دلالي؛ حيث تشترك جميعها في معنى الصلح، وإذا كان السَّلَم (بفتح اللام) يعنى: الاستسلام والإذعان والانقياد والخضوع، فالانقياد للحق يؤدي إلى الصلح في النهاية قال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾(٢) فالسَّلَمَ في الآية بمعنى الاستسلام والخضوع، والخضوع للحق هو قمة السلام قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَفِيهِ "أي السلام" لُغَاتٌ ثَلَاثٌ: السِّلْمُ، وَالسَّلْمُ، وَالسَّلَمُ "(٣).

والسلام مادته "سلم" وهي في الأصل تعني الخلوص من الآفات، والسلام في كل شيء يعني: ما سلم من الأذى "فالسَّلامُ فِي الأَصل: السَّلامةُ، يُقَالُ: سَلِمَ يَسْلَمُ سَلاماً وسَلامةً، وَمِنْهُ قِيلٌ لِلْجَنَّةِ: دار السَّلامِ لأَنها دار السَّلامةِ مِنَ الْآفَاتِ" "وقال الزَّجَّاجُ: سُمِّيَتْ دارَ السَّلامِ لأَنها دارُ السلامَة الدَّائِمَةِ الَّتِي لَا تنقَطع وَلَا تَفْنى وَهِيَ دَارُ السَّلامةِ مِنَ الْمَوْتِ والهَرَم والأَسْقام"(٤).

وقَالَ أَبُو إِسْحَاق فِي قَول الله جلّ وعزّ: ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾(٥) سمعتُ محمدَ بنَ يزيدَ يَذكُر أنّ السّلام فِي لُغَة الْعَرَب أربعةُ أَشْيَاء فَمِنْهَا: سَلّمتُ سَلاما مَصدَر سلّمت، وَمِنْهَا السَّلاَم جمعُ سَلامة، وَمِنْهَا السَّلام اسمٌ من أسماءِ الله

(١) لسان العرب: لأبي الفضل محمَّد بن مكرم بن على،جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)ط: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ، ج١٢ ص٢٩٢ .

(٢) سورة النساء، الآية (٩٠) .

(٣) مفاتيح الغيب: للإمام أبي عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ، ج٥ ص٣٥٢ .

(٤) لسان العرب: ج١٢ ص٢٩١ مرجع سابق.

(٥) سورة الأنعام، الآية (٥٤) .

تَبَارك وَتَعَالَى، وَمِنْهَا السَّلام شجر. قَالَ: وَمعنى السلاَم الّذي هُوَ مَصدَر سَلَّمت أَنَّه دعاءٌ للإِنْسَان بِأَن يَسلَم من الْآفَات فِي دِينه ونَفْسِه، وتأويلُه التَّخْليص. وَقَالَ: والسَّلام اسمُ الله، وتأويلُه -وَالله أعلم- إِنَّه ذُو السَّلاَم الَّذي يَملِك السَّلاَم، هُوَ تخليصٌ من الْمَكْرُوه. وأمّا السَّلاَم الشَّجَر فَهُوَ شَجَر قويٌّ عَظِيم أَحْسبهُ سَمِّي سَلاما لسلامته من الْآفَات. قَالَ: والسِّلام بِكَسْر السِّين: الْحِجَارَة الصُّلْبة، سُمِّيتْ سِلاَماً لسلامتها من الرَّخاوة "(١).

والمعنى كما ترى يدور كله حول السلامة التي هي الخلوص من الآفات، وثمة علاقة ما بين الانقياد والخضوع للحق، والصلح، وبين الخلوص من الآفات، فمن انقاد للحق وأداه للصلح، فقد سلم من الآفات، وثمرته الصحة والعافية.

ومما سبق يتبين أن: السلام يعني الانقياد للحق بالعودة إلى الصلح وثمرته الخلوص من الأذى، وطمأنينة القلب، وسلامة النفس والإسلام كله ميل لهذا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾(٢)وقال تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(٣).

- التعريف الاصطلاحي للسلام: السلام هو حالة الهدوء والسكينة، وغيبة القلاقل.

ومن وجهة النظر العسكرية والسياسية يعني: غيبة الاضطرابات العنيفة، مثل الحروب وأعمال العنف "(٤).

---

(١) تهذيب اللغة: مُحَمَّد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ، المحقق: مُحَمَّد عوض مرعب ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ج١٢ ص٢٠٩

(٢) سورة البقرة، الآية(٢٠٨) .

(٣) سورة الأنفال، الآية (٦١) .

(٤) الموسوعة العربية العالمية، ج١٣ ص٢٨ .

٢- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للإسلام:

تعريف الإسلام في اللغة: الإسلام والسلام يشتركان في مادة " السِّلْمُ "ولفظ الإسلام مأخوذ من مادة السلام، وفي مختار الصحاح: " وَ(السِّلْمُ) السَّلاَمُ. وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: "ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً"(١) وَذَهَبَ بِمَعْنَاهَا إِلَى الإسلام"(٢) .

كما أن بينهما اشتراك لطيف من ناحية خضوع كلاهما للحق والخير والعدل، فالإسلام هو خضوع للروح والجسد لنظام الحق والعدل جاء في لسان العرب: "والإسلام والاسْتِسْلامُ: الانْقِيَادُ. والإسلام مِنَ الشَّرِيعَةِ: إِظهار الْخُضُوعِ وإِظهار الشَّرِيعَةِ وَالْتِزَامُ مَا أَتى بِهِ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"(٣) وكذلك السلام هو خضوع للخير والحق والعدل وسائر الأخلاق الحميدة، جاء في التاج(٤) " (و) السِّلم مثل (السَّلاَم والإسلام) والمُرادُ بالسَّلام هُنَا الاستِسْلام والانْقِياد، وَمِنْه قِرَاءَة من قَرَأَ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾(٥) بل صرح القرآن الكريم بأن الثمرة المرجوة من اتباع الإسلام هي الاهتداء إلى طريق "السلام" قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٠٨) .

(٢) مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ مُحَمَّد ط: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ج١ ص١٥٣

(٣) لسان العرب: ج١٢ص٢٩٣ مرجع سابق.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)المحقق: مجموعة من المحققين ط: دار الهداية، ج٣٢ ص٣٧١ .

(٥) سورة النساء، الآية(٩٤) .

مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[1] .

يقول صاحب الظلال رحمه الله عن قوله تعالى "سبل السلام" (ما أدق هذا التعبير وأصدقه إنه "السلام" وهو ما يسكبه هذا الدين في الحياة كلها سلام الفرد، وسلام الجماعة، وسلام العالم. سلام الضمير، وسلام العقل، وسلام الجوارح. سلام البيت والأسرة، وسلام المجتمع والأمة، وسلام البشر. والإنسانية. السلام مع الحياة، والسلام مع الكون، والسلام مع الله رب الكون والحياة. السلام الذي لا تجده البشرية. ولم تجده يوماً. إلا في هذا الدين وفي منهجه ونظامه وشريعته، ولا يدرك عمق هذه الحقيقة كما يدركها من ذاق حرب القلق الناشئ من عقائد الجاهلية في أعماق الضمير، وحرب القلق الناشئ من شرائع الجاهلية وأنظمتها وتخبطها في أوضاع الحياة، وقد كان المخاطبون بهذه الكلمات أول مرة يعرفون من تجربتهم في الجاهلية معنى هذا السلام. إذ كانوا يذوقونه مذاقاً شخصياً ويلتذون هذا المذاق المريح)[2] .

تعريف الإسلام شرعا: الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة مما يضادهما من الشرك وأهله"[3].

---

(١) سورة المائدة، الآيتان (١٥، ١٦) .

(٢) انظر في ظلال القرآن: للأستاذ الشيخ: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)ط: دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ ج٢ ص٨٦٢ .

(٣) شرح الأصول الثلاثة: لفضيلة الشيخ:صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى – ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، ج١ ص١٥٩ .

ثانياً: جهود صنع السلام عبر السنين:

تطورت عملية السلام عبر التاريخ الإنساني، فقبل المجتمع المدني المعاصر كانت القبائل تضع بينها عهودا ومواثيق للتفاهم، ولما تطور المجتمع نشأت جمعيات دولية، ومنظمات حكومية وعالمية، على شاكلة هيئة الأمم المتحدة لتعزز دور السلام ونبذ الخلاف .

ومن أمثلة ذلك قديماً (ما كان من العالم الإغريقي القديم، فقد كان يتكون من عدد من المناطق المستقلة والتي كثيرًا ما كانت تدخل في حروب مع بعضها، فنشأ حلف بين هذه الدويلات اليونانية لتحقيق السلام وكان مما تعهدوا به " ألا يخرب بعضهم مدن بعض، وألا يسمحوا بقطع الماء عن أية واحدة منها، وألا ينهبوا كنوز "أبولو" في "دلفي"[1] أو يسمحوا بنهبها، وأن يقاتلوا أية أمة لا تحترم هذه المواثيق"[2] فخلقوا شيئاً من الضمير الدولي، وكان هذا يعتبر إحدى المحاولات الأولى للحد من الحروب والوحدة الأخلاقية بين مدن اليونان المبعثرة .

---

(١) دلفي مدينة تقع على المنحدرات الجنوبيَّة لجبل باريناسوس. وكان في هذه المدينة أقدم معبد ديني في بلاد اليونان القديمة. وكانت في مقاطعة فوكس. اعتقد الإغريق بقداسة موقع دلفي في نظر الإله أبولو. واكتسبت أهمية في وقت مبكر يعود إلى القرن الثَّاني عشر قبل الميلاد. وفيما بعد أصبح موقع دلفي مزارًا يونانيًا دوليًا. وكان معبد دلفي يحتوي على الهيكل الرَّئيسي لأبولو، وعلى مدرج للألعاب الرِّياضيَّة ومسرح. كما اشتمل على العديد من الأبنية والنُّصب التَّذكاريَّة.

اشتمل الهيكل على كاهن هيكل الوحي. وكانت كاهنة تدعى بيثيا تتفوَّه بأصوات غريبة ـ كما تدَّعى الأساطير ـ وهي في حالة انفعال شديد. واعتقد النَّاس أنَّ تفوهاتها تلك كانت كلمات أبولو. والتمست مشورتها المدنُ والأفرادُ على حد سواء. ونتيجة لذلك، كان لكاهن هيكل الوحي أثر كبير في اليونان، من حيث الدِّين، والاقتصاد، والسِّياسة. ثُمَّ تلاشى هذا الأثر تدريجيًّا في الأزمنة اليونانية، والرُّومانيَّة المتأخرة. الموسوعة العربية العالمية ج١٠ ص٣٤٣ .

(٢) قصة الحضارة: وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: ١٩٨١م) تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين ط: دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس عام النشر: ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ج٦ ص٣٦٠ .

وبعد انهيار الدولة اليونانية قامت الإمبراطورية الرومانية بحفظ السلام في جزء كبير من العالم خلال فترة عرفت باسم السلام الروماني وقد استمر هذا السلام لأكثر من مائتي عام، أي من عام ٧٢ ق.م إلى عام ١٨٠م)[١].

"ولم يكن هذا السلم قائما على تعادل القوى بين دول متساوية بل كان نتيجة روح مسيطرة لقيام دولة عالمية، فعلاقة الرومان بغيرهم قامت على نزعة الغلبة والاستعلاء"[٢].

ب – دور الكنيسة في العصور الوسطى:

وعندما ضعفت الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي، اندلعت حروب صغيرة في أوروبا كلها، وصارت الكنيسة هي أكبر قوة لدعم السلام، وساد عُرْف كنائسي سُمِّي "هدنة الله" كان يقصر القتال في المنازعات الخاصة على أيام معينة من أيام الأسبوع، كما كان هناك حكم كنائسي آخر عرف باسم "سلام الله" يحرم القتال في بعض الأماكن، مثل الكنائس والأضرحة. ولكن الكنيسة كانت تسمح باندلاع بعض الحروب، مثل تلك التي ترى أن من شأنها تعزيز موقعها.

(١) انظر الموسوعة العربية العالمية ج١٣ ص٣١٢٩، مرجع سابق .

(٢) قانون السلام في الإسلام، د/ محمد طلعت الغنيمي، ط:دار المعارف– الإسكندرية، ص٥٩ .

وفي عام ١٦٤٨م انتهت "حرب الثلاثين عامًا"(١) بتوقيع معاهدة "وستفاليا"(٢) التي حاولت أن تضمن السلام من خلال إقامة توازن القُوَى. ويعتمد مبدأ توازن القوى على التوزيع المتساوي للقوة العسكرية والاقتصادية بين الأمم، بحيث لا يكون لدى أي دولة أو أي مجموعة من الدول القوة الكافية لغزو أي دولة أو مجموعة أخرى من الدول)(٣).

(١) حرب الثلاثين عامًا (١٦١٨ – ١٦٤٨م). آخر الحروب الدينية النصرانية المريرة في أوروبا. وقد كان هذا الصراع في الواقع سلسلة من الحروب، بدأت كحرب أهلية بين البروتستانت والرومان الكاثوليك في الولايات الألمانية. ولكن قبل انتهاء الصراع، كانت معظم الدول الأوروبية قد تورطت فيه، وأصبحت الحرب نزاعًا عامًا من أجل الأرض والسلطة السياسية وكان السبب الأساسي للحرب العداء المتأصل بين الألمان البروتستانت والألمان الكاثوليك، فالمجموعتان اختلفتا في تفسيرهما لسلام أوجسبرج (١٥٥٥م) الذي كان الغرض منه تسوية المسألة الدينية في ألمانيا. وقد خرقت المجموعتان الصلح. بالإضافة إلى ذلك، فقد اعترف سلام أوجسبرج بالكاثوليكيين واللوثريين فقط كان هناك الكثير من الكالفنيين في جنوب ألمانيا الذين طالبوا أيضًا بالاعتراف بهم.وقد انطلقت الشرارة التي أشعلت الحرب عندما أمر رئيس أساقفة براغ بتحطيم كنيسة بروتستانتية. ولجأ الناس وهم غاضبون إلى الإمبراطور ماتياس الذي تجاهل احتجاجهم. فانتفض البروتستانت ثائرين. وتعرف تلك الحادثة التي حددت البداية الفعلية لحرب الثلاثين عامًا، في التاريخ القذف من النافذة في براغ. وكانت هي عادة قديمة لدى الناس في بوهيميا لمعاقبة الموظفين المذنبين بقذفهم من النافذة. وقد عاقب البروتستانت الثائرون اثنين من وزراء حاكمهم بهذه الطريقة. وقد بدأت الحرب الأهلية في بوهيميا وانتشرت في جميع أنحاء غربي أوروبا.ثم تم صلح وستفاليا (١٦٤٨م). بعد أن عانى الشعب الألماني لعدة سنوات من البؤس والحرمان بسبب حرب الثلاثين عامًا. وفي عام ١٦٤٤م، أرسلت الدول الأوروبية ممثلين لعقد مؤتمر صلح. التقى الوفدان الكاثوليكي والبروتستانتي منفردين في مدينتين مختلفتين في وستفاليا، وهو إقليم من أقاليم بروسيا. استمرت المفاوضات أربع سنوات إلى أن وُقّع صلح وستفاليا في عام ١٦٤٨م) انظر الموسوعة العربية العالمية، ج٩ ص١٨٨ .

(٢) وستفاليا إقليم بروسي سابق في غربيّ ألمانيا. وستفاليا أو ويستفالن بالألمانية تعني السّهل الغربيّ وتقع في غربي هولندا، وفي عام ١٩٤٦م أصبحت وستفاليا جزءًا من جمهورية ألمانيا لشماليّ الراين. انظر: الموسوعة العربية العالمية، ج٢٧ ص١٠٤

(٣) انظر الموسوعة العربية العالمية، ج١٣ ص٣١٢٩، مرجع سابق .

ج – جهود بعض الأفراد:

وخلال الفترة من القرن "الخامس عشر" إلى القرن "الثامن عشر". اقترح الكثيرون عدة مشاريع تهدف إلى تحقيق السلام الدائم. فعلى سبيل المثال، قدم رجل الدولة الفرنسي "دوق سلي"[1] في أوائل القرن السابع عشر الميلادي المشروع الكبير لتحقيق السلام في أوروبا. وكانت خطة دوق سلي تدعو إلى تشكيل مجلس من ممثلي الدول الأوروبية تكون مهمته حلّ الخلافات التي تقوم بين الدول.

كما شعر الكيميائي السويدي ألفرد ب. نُوبل[2] الذي اخترع الديناميت بالأسى لما أحدثه اختراعه من وفيات وإصابات في وقت الحرب، فرصد في وصيته مبلغًا من المال

(١) دوق سلي (١٥٦٠ – ١٦٤١). سياسي فرنسي. كان بروتستانتياً، و المستشار الأكبر لهنري ملك نفار ثم فرنسا. عين المراقب العام للمالية (١٥٩٨ – ١٦١١)، فأعاد إلى فرنسا رخاءها، بعد أن كادت تشرف على الإفلاس، بسبب تبذير هنري ، ونفقات الحروب الدينية. شجع الزراعة و الصناعة، و عبد شبكة من الطرق، وشق القنوات، و أشرف بعين ساهرة على جميع أبواب مصروفات الحكومة، فترك فائضاً في الخزانة. كان صاحب « المشروع الأكبر »، و هو خطة لإقامة تحالف فدرالي يضم جميع الأمم المسيحية. الموسوعة الحرة ويكبيديا تم التعريف بتاريخ: ١٤/شعبان/١٤٣٦بحجم:(22 KB 22.0، 555 bytes).

(٢) نوبل، أَلفْرِد بيرنارْد (١٨٣٣م – ١٨٩٦م). كيميائي سويدي اخترع الديناميت وأنشأ جوائز نوبل. أجرى في شبابه تجارب على النتروجلسرين في مصنع والده. وكان يأمل في جعل هذه المادة الخطرة متفجرا آمنا وصالحًا للاستعمال. وأعد متفجرًا من النتروجلسرين، لكن وقعت العديد من الحوادث حينما عُرض للبيع، إلى درجة أن كثيرًا من الناس عدوه عدوا للشعب تقريبًا لبعض الوقت. لكن وفي عام ١٨٦٧م، استطاع نوبل خلط النتروجلسرين مع مادة ممتصة. بحيث يمكن شحن ومناولة هذه المادة بأمان. وسمى نوبل هذه المادة الديناميت. ثم بعد ذلك عانى الإحساس بالذنب لصنعه مادة سببت الكثير من الموت والدمار. وكره فكرة إمكانية استخدام الديناميت في الحرب، بينما كان يعتقد أن اختراعه من أجل السلم. وأنشأ نوبل صندوقًا بمبلغ ٩ ملايين دولار، يستخدم العائد منه لمنح جوائز سنوية، إحداها لأكثر الأعمال المؤثرة لتشجيع السلام العالمي. الموسوعة العربية العالمية، ج٢٥ ص٥٥٢ .

لتمويل عدد من الجوائز السنوية من بينها جائزة لعمل مميز يسهم في تحقيق السلام العالمي. وقد منحت أول جائزة من جوائز نوبل للسلام عام **١٩٠١**م)[١].

د – جهود بعض الدول:

وعندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها عام **١٩١٨**م، قامت مجموعة مكونة من "**٤٢**" دولة بإنشاء "عصبة الأمم". وكان هدف تلك المنظمة الدولية هو الحفاظ على السلام في العالم أجمع. وطبقًا لنظام عصبة الأمم، كان على الدول الأعضاء فض المنازعات التي تنشأ بينها عن طريق عرضها على مجلس العُصْبَة، أو عرضها للتحكيم أو قبول حكم طرف ثالث. ولكن عصبة الأمم لم تكن لها سلطة كبيرة. وكان ذلك راجع إلى عدم انضمام الولايات المتحدة، وبعض الدول الكبيرة الأخرى إلى عضويتها.

وعند انتهاء الحرب العالمية الثانية في عام **١٩٤٥**م، قامت عدة محاولات لتحقيق السلام الدائم بين كافة الأمم. وكانت أهم الأشكال التي تضمنتها تلك الجهود:

الدبلوماسية: وتتعلق بالمفاوضات بين دولتين أو أكثر. ومعظم الحكومات لها دبلوماسيون يمثلونها لدى الدول الأخرى لتنمية التعاون والوفاق الدوليين.

المنظمات الدولية: ففي عام **١٩٤٥**م اجتمع ممثلو خمسين دولة وقاموا بإنشاء "الأمم المتحدة" وهي المنظمة الدولية الرئيسية لخدمة السلام العالمي. وفي العام التالي تم حل "عصبة الأمم".

ويقوم مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ببحث المنازعات التي تقوم بين الدول ثم يقترح الطرق لحلها. وإذا قامت أي دولة بتهديد السلام فإن المجلس يفرض ضدها عقوبات

---

(١) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ج١٣ ص٣١٢٩، مرجع سابق .

اقتصادية، وتقوم الدول الأعضاء بالامتناع عن تبادل التجارة مع الدولة المعتدية، فإذا لم تنجح هذه الإجراءات في ردع المعتدي، على المجلس أن يطلب من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة مَدَّهُ بالقوات اللازمة لتنفيذ قراراتها. وقد أحرزت الأمم المتحدة بعض النجاح في عملية حفظ السلام. ولكنها لم تستطع أن تمنع قيام الحروب المحلية في عدد من المناطق، منها إفريقيا وجنوب شرقي آسيا، والشرق الأوسط. وفي أحيان أخرى تراخى مجلس الأمن أو غض الطرف عما يجري من حروب وكوارث، وبخاصة حين تكون الشعوب الإسلامية هي المستهدفة بالعدوان، وتشكل مواقف مجلس الأمن الدولي ومواقف الدول الكبرى من العدوان على المسلمين في فلسطين المحتلة والبوسنة والهرسك أكبر دليل على ذلك .

٣ – نزع السلاح: وتتضمن عملية نزع السلاح الرقابة على الأسلحة، وخفض القوات المسلحة أو الاستغناء عنها. وقد وافقت الأمم المتحدة في عام **١٩٦٨**م على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية. وهذه المعاهدة التي دخلت حيز التنفيذ في عام **١٩٧٠**م، وتحظر على الدول النووية مَدَّ الدول الأخرى بأي أسلحة أو تقنية ذرية. وفي عامي **١٩٧٢**م و**١٩٨٨**م، وَقَّع الاتحاد السوفييتي (سابقًا) والولايات المتحدة اتفاقيتين للحد من إنتاج وحيازة الأسلحة الذرية. وفي السبعينيات من القرن العشرين تمكنت الأمم المتحدة من الحصول على موافقة الأعضاء على عدد من المعاهدات للرقابة على الأسلحة. وتمنع هذه الاتفاقيات الدول من وضع أسلحة ذرية في قاع المحيطات كما تحظر إنتاج وتكديس الأسلحة البيولوجية. وفي عام **١٩٩٣**م، وقعت **١٢٥** دولة برعاية الأمم المتحدة اتفاقية تحظر تصنيع الأسلحة الكيميائية واستخدامها ونقلها وتخزينها، وقد أصبحت الاتفاقية نافذة عام **١٩٩٧**م. ولكن ظلت بعض الدول، من بينها إسرائيل، تمتلك هذه الأسلحة.

٤ – الأمن الجماعي: ويشبه نظام ميزان القوى، حيث يوافق كل عضو في مجموعة من الدول على مساعدة أي عضو آخر في المجموعة، إذا ما تعرض هذا العضو للاعتداء. وبذلك تقوم قوة

المجموعة المشتركة بإحباط أية محاولة لهجوم العدو، وتشمل منظمات الأمن الجماعي حلف شمال الأطلسي وحلف وارسو[1] السابق.

٥ – تحسين الاتصالات والتجارة الدولية: يعمل عدد من دول أوروبا معًا كمجموعة تعرف باسم الاتحاد الأوروبي، وقد استطاعت تلك الدول أن تزيد بشكل كبير حركة انسياب البضائع والأفكار والشعوب من دول لأخرى. كما ظهرت داخل المجتمعات العربية مثل هذه الاتصالات والمشاركات الفعالة، وتم تشكيل مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وذلك للتعاون في كافة المجالات الدفاعية والاقتصادية والثقافية والتنموية، وكذلك دول المغرب العربي، وكل هذا في إطار

---

(١) حلف شمال الأطلسي: معاهدة تتوفر بمقتضاها قيادة عسكرية موحدة للدفاع المشترك عن ١٩ دولة غربية ويسمى أيضًا حلف الناتو. تم تأسيس هذا الحلف عام ١٩٤٩م بوساطة الدول المتحالفة بموجب معاهدة شمال الأطلسي التي نهضت بأعباء دفاعها المشترك عن ١٢ دولة غربية ضد أي هجوم محتمل من الاتحاد السوفييتي أو أي معتدٍ آخر. وتنص المعاهدة على أن أي هجوم مسلح ضد واحدة أو أكثر من الدول الأعضاء في أوروبا أو أمريكا الشمالية يعتبر هجوما ضد جميع أعضاء الحلف. والدول هي بلجيكا، كندا، الدنمارك، فرنسا، بريطانيا، أيسلندا، إيطاليا، لوكسمبرج، هولندا، النرويج، البرتغال، الولايات المتحدة. ثم وقَّعت اليونان وتركيا على المعاهدة عام ١٩٥١م، وألمانيا الغربية عام ١٩٥٤م، وإسبانيا عام ١٩٨٢م. وقد أُنشئت ألمانيا الغربية عام ١٩٤٩م عندما كانت الدولة مقسمة إلى ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية. إلا أنه تم إعادة توحيد ألمانيا عام ١٩٩٠م وحلت محل ألمانيا الغربية عضوًا بالحلف. وبعد فض حلف وارسو، وتفكك الاتحاد السوفييتي السابق إلى جمهوريات مستقلة عام ١٩٩١م، طرحت تساؤلات عن جدوى الدور العسكري الذي يمكن أن يؤديه حلف شمال الأطلسي.

وفي عام١٩٩٩م وجه الحلف ضربات موجعة للأهداف العسكرية في صربيا لإجبار يوغوسلافيا على وقف عدوانها على سكان إقليم كوسوفو الألبانيين. وفي يونيو ١٩٩٩م، أوقف الحلف قصف المواقع الصربية بعد أن سحبت الحكومة اليوغوسلافية قواتها من كوسوفو. وقد دخلت قوات الحلف الإقليم لحفظ السلام فيه. أدى تدخل الحلف في البوسنة والهرسك ويوغوسلافيا إلى زيادة التوتر مع روسيا الحليف التقليدي للصرب.

وبعد الهجمات الإرهابية التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية بطائرات مخطوفة في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، أعلن الناتو أن الاعتداء على الولايات المتحدة يعد اعتداءً على جميع الدول الأعضاء في الحلف. وفي عام ٢٠٠٢م، تم تكوين مجلس الناتو–روسيا، وهو جهاز يسمح للطرفين بوضع السياسات اللازمة في مجال مكافحة الإرهاب والحد من التسلح وإدارة الأزمات. انظر: الموسوعة العربية العالمية، ج٩ ص٥٠١ .

تحسين قاعدة التعامل العربي وزيادة التبادل المشترك في كافة المجالات، وتزيد تنمية الاتصالات والتجارة الدولية من التفاهم بين الدول، فهي تقلل من خطر الحرب عن طريق خفض الحواجز الثقافية والاقتصادية التي تفصل بين البلاد)[1].

ولا شك أن هذه جهود جبارة لحفظ عملية السلام ولكنها في بعض الأحيان تفتقد إلى التفعيل حين تصطدم بمصالح الدول الكبرى، أو حين تتعلق بدولة عربية فتفتقد للعدالة، ويختل ميزان القوى حيث تبيح بعض الدول لحقها امتلاك بعض الأسلحة في حين أنها لا تسمح لدول أخرى بامتلاكها.

(١) انظر: الموسوعة العربية العالمية، ج١٣ ص٣١٢٩، مرجع سابق .

المبحث الأول

مكانة السلام في الإسلام

السلام في الإسلام له مكان ومكانة، ولا بد من إبراز ذلك حتى يتبين الخيط الأبيض من الأسود، وسوف أتحدث في هذا المبحث عن ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: قيمة السلام في الإسلام

المطلب الثاني: السلام في القصص القرآني

المطلب الثالث: السلام في السيرة النبوية

المطلب الأول

قيمة السلام في الإسلام

الإسلام أعلى قيمة السلام بداية من كون الله عز وجل تسمى به، ونهاية بأن جعله منهج حياة بين البشر،وعندما بحثت موضوع السلام خيل إلي أن الإسلام ما جاء إلا لتحقيق السلام في الأرض، وهو كذلك، فالتشريع كله يصب في عملية السلام، فمن دعاء النبي ﷺ "اللهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالْإِكْرَامِ"(١) أي ومن تشريعك السلام، وإذا كانت ثمرة السلام السلامة، فهي مراد التشريع كله، سواء سلامة العقل، أو النفس، أو الدين، أو المال، أو العرض ،ثم تعدى التشريع إلى سلامة المجتمع بإشاعة البر والتراحم، وعدم الاعتداء، ثم تعدى إلى سلامة العالم بالتعارف والبر والإقساط، والسلام في الإسلام معايشة، وليس مجرد شعار يرفع، نلمح هذا من خلال العلاقة الروحية بين الإنسان

(١) رواه الإمام مسلم، ك:الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ باب: اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ ج١ ص٤١٤مرجع سابق .

وبين جميع الكائنات، حتى الجماد فبلغ من روحانية المسلم ورقته ما بلغ عن علاقته الروحية مع الجماد ،ومن ذلك قول النبي ﷺ "أحد جبل يحبنا ونحبه"(١).

ومن يراجع آيات القرآن الكريم يدرك بما لا يدع مجالاً للشك أن الأصل في التعامل هو تقديم السلام على الحرب، واختيار التفاهم لا التصارع، ويكفي أن كلمة السلم ومشتقاته المباشرة ذكرت في القرآن في نحو أربعين آية بينما جاءت كلمة الحرب بمشتقاتها ست مرات فقط كلُّها مدنية، والفرق بين العددين هو الفرق بين نظرة الإسلام إلى كلا الأمرين.

وقد تميز الإسلام في موقفه من السلام بكونهما يرجعان لأصل واحد ويشتركان في كثير من الدلالات وكلمة "الإسلام" في اللغة العربية مشتقة من نفس الجذر اللغوي للسلام، وهو دينه الذي ارتضاه الله لعباده قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٢) ولقد جعل الإسلام السلام في قمة القدسية حيث جعله الله تعالى علما عليه قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾(٣) وعلم على دار كرامته قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٤) وتحية المولى ﷻ يقول الله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾(٥) وتحية المؤمنين عند لقاء الله ﷻ، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ

(١) رواه الإمام البخاري، ك: المغازي بَاب: نُزُولِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحِجْرَ ج ٤ص١٦١٠، مرجع سابق.
(٢) سورة المائدة، الآية (٣)
(٣) سورة الأعراف، الآية (١٩٠) .
(٤) سورة يونس، الآية (٢٥) .
(٥) سورة يس، الآية (٥٨) .

يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾[1] "وتحية أهل الجنة في دار السلام قال تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[2]. والملائكة الكرام يحيون أهل الجنة بالسلام: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[3] وطريق الحق الذي ينتهي إلى دار السلام هو السلام:﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[4] .

وإلقاء السلام على من عرف المُسلِّم ومن لم يعرف من أفضل خصال الإسلام، روى الإمام البخاري بسنده عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو " أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الإسلام خَيْرٌ؟ قَالَ: "تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ"[5] وهو أمر عام يشمل المسلم، وغير المسلم على قول البعض[6] وهو موافق لظاهر القرآن قال تعالى: ﴿ فَٱصْفَحْ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٤٤) . (٢) سورة يونس، الآية (١٠)

(٣) سورة الرعد، الآية (٢٣) .

(٤) سورة المائدة، الآية (١٦)

(٥) رواه الإمام البخاري، ك: الإِيمَانِ بَابٌ: إطعام الطعام مِنَ الإِسْلاَمِ ، ج١ ص١٣ مرجع سابق. .

(٦) ورد حديث عند الإمام مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ"وهذا الحديث له سبب ورود وهو ما رواه أَبوعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُهَنِيّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنِّي رَاكِبٌ غَدًا إِلَى يَهُودَ فَلَا تَبْدَءُوهُمْ بِالسَّلَامِ، وَإِذَا سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ "

رواه أحمد وصححه الألباني فهذا حديث حالة قيل في غزو النبي ﷺ لبني قريظة كما ذكر ابن القيم عن شيخه ابن تيمية قال:" وَأَمَّا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: " "لَا تَبْدَءوهُمْ بِالسَّلَامِ"– وَهَذَا لَمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِمْ لِيُحَارِبَهُمْ وَهُمْ يَهُودُ قُرَيْظَةَ – فَأَمَرَ أَلَّا يُبْدَءُوا بِالسَّلَامِ؛ لِأَنَّهُ أَمَانٌ وَهُوَ قَدْ ذَهَبَ لِحَرْبِهِمْ. سَمِعْتُ شَيْخَنَا يَقُولُ ذَلِكَ "أحكام أهل الذمةج٣ ص١٣٢٦ وقد ذهب بعض السلف بجواز السلام عليهم قال ابن حجر " وَقَالَتْ طَائِفَةٌ يَجُوزُ ابْتِدَاؤُهُمْ بِالسَّلَامِ فَأَخْرج الطَّبَرِيّ من طَرِيق بن عُيَيْنَةَ قَالَ يَجُوزُ ابْتِدَاءِ الْكَافِرِ بِالسَّلَامِ لِقولِهِ تَعَالَى "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدّين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم" وَقَول إِبْرَاهِيم لِأَبِيه:" سَلام عَلَيْك" وَأخرج بن أَبِي شَيْبَةَ مِنْ طَرِيقِ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ سَأَلَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنِ ابْتِدَاءِ أَهْلِ الذِّمَّةِ بِالسَّلَامِ فَقَالَ نَرُدُّ عَلَيْهِمْ وَلَا =

عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾[1] وقول إبراهيم لأبيه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾[2] .

ويؤيد هذا ما رواه الإمام البخاري معلقا عن عَمَّار بن ياسر قال: " ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ "[3].

وقد كره الإسلام مجرد اسم حرب، فعَنْ أَبِي وَهْبٍ الْجُشَمِيِّ، .وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ .قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ، وَهَمَّامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةُ"[4].

ونهى عن الرغبة في الحرب وتمنيها، روى البخاري بسنده من حديث عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى قال: قال رسول الله "لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ "[5] وهذا تنبيه على تقديم

=نَبْدَؤُهُمْ قَالَ عَوْنٌ فَقُلْتُ لَهُ فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ قَالَ مَا أَرَى بَأْسًا أَنْ نَبْدَأَهُمْ قُلْتُ لِمَ قَالَ لِقولِهِ تَعَالَى: "فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلام" وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ بَعْدَ أَنْ سَاقَ حَدِيثَ أَبِي أُمَامَةَ إِنَّهُ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَى كُلِّ مَنْ لَقِيَهُ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ السَّلَامَ تَحِيَّةً لِأُمَّتِنَا وَأَمَانًا لِأَهْلِ ذِمَّتِنَا"فتح الباري ج١١ ص٣٩ وقال الامام النووي "ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى جَوَازِ ابْتِدَائِنَا لَهُمْ بِالسَّلَامِ رُوِيَ ذلك عن بن عباس وأبي أمامة وبن أَبِي مُحَيْرِيزٍ وَهُوَ وَجْهٌ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا حَكَاهُ الماوردي لكنه قال يقول السلام عليك ولا يقول عَلَيْكُمْ بِالْجَمْعِ وَاحْتَجَّ هَؤُلَاءِ بِعُمُومِ الْأَحَادِيثِ" وقد كتب في ذلك بحث قيم بعنوان دراسة حديث (لا تبدؤوا المشركين بالسلام)مع الجمع بينه وبين أحاديث الباب في ابتداء غير المسلمين بالسلام د/حاكم المطيري، أستاذ مساعد بقسم التفسير والحديث كلية الشريعة . جامعة الكويت وهو متاح على الشبكة الدولية ورجح فيه لفظة اليهود عن لفظة المشركين التي جاءت في بعض الروايات وهو ما يؤيد ما ذهب اليه من أن الحديث كان حالة الحرب. فليراجع .

(١) سورة الزخرف، الآية (٨٩) .

(٢) سورة مريم، الآية (٤٧) .

(٣) رواه الإمام البخاري، ك:الإيمان، باب: إِفْشَاءُ السَّلاَمِ مِنَ الإِسْلاَمِ، ج١ ص١٥، مرجع سابق .

(٤) رواه الإمام أحمد، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ: مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ج١١ ص٦١٠ مرجع سابق.

(٥) رواه الإمام البخاري، ك:التمني باب :كراهية تمني لقاء العدو، ، ج٦ ص٢٦٤٤ مرجع سابق.

السلم على الحرب، وفيه أنه قد يفضي القتال إلى الفتنة، وقد امتن الله على المؤمنين في غزوة الأحزاب بأن منعهم القتال قال تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾[1].

ولم يكتف الإسلام بالنصوص القولية، ولكن هناك تدريب عملي على السلام، ونلحظ هذا في أركانه من ترديد السلام عشر مرات في الصلوات المفروضة كل يوم، وإشاعة التراحم عن طريق إعطاء الزكاة، وعدم الإساءة حتى للمعتدي خاصة وقت الصيام، وفي الحج يحرم على المحرم قص أظافره، أو حلق شعره، أو قطع نبات، أو قتل حيوان، أو تهييج طير، ناهيك عن أي شيء يخرج عن أدب الإسلام، كما أن الإسلام جعل ثلث العام هدنة إجبارية يحرم فيها القتال، وهي الأشهر الحرم وفيها ترتيب عجيب، فهي في مجملها ثلاثة سرد، وواحد فرد، لكنها في نفس الوقت موزعة على السنة كلها، ففي أولها محرم، وفي وسطها رجب، وفي أخرها ذو الحجة وذو القعدة، ولو شاء الله أن يضمها جميعا لفعل ولكن ربما لتكون السنة كلها سلام

وليس السلام في الإسلام سلاماً سلبياً بل مطعم بالبر والتقوى قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[2]. وقد قبل النبي بشروط ظاهرها الإجحاف رغبة في السلام كما حدث في صلح الحديبية

والنصوص كثيرة في هذا الباب، وتكرار لفظ السلام في القرآن والسنة على هذا النحو من شأنه أن يوقظ الحواس، ويوجه الأفكار إلى أن السلام هو قاعدة الحياة حتى يفزع عن قلوب القوم، فيعلمون أن الإسلام دين السلام بكل ما تعنيه هذه الكلمة.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية(٢٥) .

(٢) سورة الممتحنة، الآية (٨) .

وحتى حينما شرع الله الحرب شرعها من أجل التطور الحضاري حيث إن الاعتداء هو إفساد الأرض، وخرابها، فشرع الحرب لردع المعتدي قال تعالى "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض" كما أنه دفاع عن الحرية الدينية قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[1].

المطلب الثاني
السلام في القصص القرآني

فإن قيل إذا كان السلام هو السلامة من الأذى، فلماذا أهلك الله الأمم السابقة، ولم يعطهم فرصة للمراجعة والحساب؟ قلت: أما الفرصة فقد أعطاها الله لهم، فلم يغتنموها، ومع ذلك فلم يهلكهم الله بسبب كفرهم وإنما أهلكهم بسبب كثرة إفسادهم ضميمة كفرهم، ففسادهم كان مقرونا بالكفر، وإذا كان الإصلاح مرتبط بالعقيدة الصحيحة الخالية مما يعكرها، فإن خلت القلوب منها، فأصحابها في كل واد من الفساد يهيمون، لأنه لا يوجد الدافع الداخلي الذي يمنع الجوارح من السلوك الفاسد، فلما كثر فسادهم ولم يكن هنالك رجعة أخذهم الله تعالى، وقد أعطي فرعون تسع فرص للمراجعة والحساب فلم ينته، ولو أعطي فرصاً أخري كثيرة لم يكن ليفعل، ولعل مثال نوح عليه السلام مع قومه وإمهالهم هذه المدة الكبيرة مثالا واحدا في التاريخ ليدل على غيره .

والفساد ثمرة الكفر وهو خروج عن مألوف الحياة، وهو ضد السلام، فكأنه أخذهم من أجل عدم السلام في الأرض، فالسلام بمعناه العام سلام النفس، والبيئة، والناس، ومعروف ما كان عليه هذه الأقوام من التطفيف في الميزان، واللواط، واضطهاد للأقليات، وغيرها من

(١) سورة الحج، الآية (٤٠) .

ألوان الفساد، فالهدف من خلافة الإنسان في الأرض هو السلام الذي ثمرته عمارة الأرض، فإذا لم يتحقق هذا الهدف فلا قيمة من وجود الإنسان في الأرض، حينها يأخذ فاعل الإثم ومن رضي به. قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[1] ولم يقل صالحون لأن المصلح صالح في نفسه مصلح لمن حوله بعكس الصالح فصلاحه لنفسه فقط" وروي عن ابن عباس أنه قال: "ما أهلك الله قوماً إلا بعملهم، ولم يهلكهم بالشرك"، يعني: لم يهلكهم بشركهم وهم مصلحون، لا يظلم بعضهم بعضاً، لأن مكافأة الشرك النار، لا دونها. وإنما أهلكهم الله بمعاصيهم زيادة على شركهم، مثل قوم صالح بعقر الناقة، وقوم لوط بالأفعال الخبيثة، وقوم شعيب بنقصان الكيل والوزن، وقوم فرعون بإيذائهم موسى وبني إسرائيل "[2].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[3] أي" أمرنا أهلها بالطاعة" والإصلاح" فعصوا وفسقوا فيها، فحقّ عليهم القول"[4].

قال الشيخ الشنقيطي[5] فلإن قيل: إِنَّ اللَّهَ أَسْنَدَ الْفِسْقَ فِيهَا لِخُصُوصِ الْمُتْرَفِينَ دُونَ غَيْرِهِمْ مع أَنَّهُ ذَكَرَ عُمُومَ الْهَلَاكِ لِجَمِيعِ الْمُتْرَفِينَ وَغَيْرِهِمْ ،وَلَمْ يَسْتَثْنِ مِنْهَا غَيْرَ الْمُتْرَفِينَ ؟

---

(١)سورة هود، الآية (١١٧) .

(٢) بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ج٢ ص١٧٥ .

(٣) سورة الإسراء، الآية (١٦) .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن: للإمام أبي جعفر مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي،الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد مُحَمَّد شاكر ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ج١٧ ص٤٠٦.

(٥) الشيخ الشنقيطي هو: مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي [١٩٠٧: ١٩٧٣م]، مفسر، باحث، من علماء شنقيط بموريتانيا، ولد وتعلم بها. وحج سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) واستقر مدرسا في المدينة المنورة، ثم في الرياض، فالجامعة الإسلامية بالمدينة. وتوفي بمكة. من كتبه "أضواء البيان في نفسير القرآن =

وَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ غَيْرَ الْمُتْرَفِينَ تَبَعٌ لَهُمْ، وَإِنَّمَا خَصَّ بِالذِّكْرِ الْمُتْرَفِينَ الَّذِينَ هُمْ سَادَتُهُمْ وَكُبَرَاؤُهُمْ؛ لِأَنَّ غَيْرَهُمْ تَبَعٌ لَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾[1] .

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ بَعْضَهُمْ إِنْ عَصَى اللَّهَ وَبَغَى وَطَغَى وَلَمْ يَنْهَهُمُ الْآخَرُونَ فَإِنَّ الْهَلَاكَ يَعُمُّ الْجَمِيعَ [2]، كَمَا قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾[3].

وعَنْ زَيْنَبَ بنت جَحْشٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخُبْثُ " [4].

المطلب الثالث

السلام في السيرة النبوية

حياة النبي ﷺ سلام كلها، حتى في غزواته الشهيرة، فقد كانت عبارة عن رد للاعتداء، ففي بدر لم يخرج النبي للحرب، وإنما خرج للعير، وسببها أن قريشا استولت على أموال المسلمين بعد الهجرة، فخرجوا لاسترداد بعضها.

وفي أحد قريش هي التي ذهبت لرسول الله في المدينة لمحاربته ثأرا لقتلاها في بدر.

=بالقرآن". ١٠ مجلدات، طبع في دار "عالم الكتب" بيروت، لبنان.. " معجم المفسرين "من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر": عادل نويهض ط: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان ج٢ ص٤٩٦.

(١) سورة الأحزاب، الآية (٦٧) .

(٢) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)ط: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م ج٣ ص٧٨.

(٣)سورة الأنفال، الآية (٢٥) .

(٤) رواه الإمام البخاري، ك: الأنبياء باب: قِصَّةِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، ج٣ ص١٢٢١، مرجع سابق .

وفي الأحزاب هم الذين ذهبوا إليه أيضا في المدينة، فخندق رسول الله حول المدينة، ولم يكن هنالك حرب "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ﴿نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ"(١). والصبا الريح الطيبة ولم يهلكهم بالدبور كما فعل مع قوم عاد" ولما علم الله رأفة نبيه ﷺ بقومه رجاء أن يسلموا سلط عليهم الصبا فكانت سبب رحيلهم عن المسلمين لما أصابهم بسببها من الشدة ومع ذلك فلم تهلك منهم أحدا ولم تستأصلهم"(٢)

وغزوة حنين وسببها أن مالك بن عوف جمع القبائل من هوازن لغزو المسلمين، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخرج إليهم.

وغزوة تبوك، حيث بلغ المسلمين أن هرقل جمع جموعاً من الروم، وقبائل العرب الموالية لها، فعلم بهم الرسول ﷺ فخرج إليهم.

وغزوة مؤتة، وسببها الأخذ بثأر الحارث بن عمير الأزدي الذي قتله شُرَحْبِيل بن عمرو الغساني حينما كان الحارث يحمل رسالة النبي ﷺإلى صاحب بُصْرَى.

فقد" بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزديّ ثم أحد بنى لَهَبٍ، إِلَى مَلِكِ بُصْرَى بِكِتَابٍ، فَلَمّا نَزَلَ مُؤْتَةَ عَرَضَ لَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْغَسّانِيّ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الشّامَ. قَالَ:لَعَلّك مِنْ رُسُلِ مُحَمّدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ. فَأَمَرَ بِهِ فَأُوثِقَ رِبَاطًا، ثُمّ قَدّمَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ صَبْرًا" (٣) فبعث النبي ﷺ بعد ذلك سرية زيد بن حارثة.

---

(١) رواه الإمام البخاري، ك: الجمعة باب: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُصِرْتُ بِالصَّبَا، ج٣ ص١٢٢١، مرجع سابق

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط: دار المعرفة، بيروت، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ج٢ ص٥٢١ .

(٣) المغازي: مُحَمَّد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ) ط: دار الأعلمي، بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج٢ ص٧٥٥ .

وفتح مكة كانت بسبب أنهم غدروا بشروط صلح الحديبية ،ولما فتحها رسول الله معروف ماذا صنع معهم من العفو، وهم من آذوه سنين عددا.

وأما غزو النبي لليهود فجميعهم هم الذين بدأوا بالغدر سواء بنو قينقاع، أو بنو النضير، أو بنو قريظة، أو خيبر.

وهذا كله معروف مشهور فلم يعتد الرسول على أحد، ولو لم يعتد أحد على المسلمين لغزاهم رسول الله بالدعوة فقط، ثم من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، فمن دراسة الأسباب التي أَدَّت إلى هذه الحروب يتضح لنا عن يقين أن الرسول لم يبدأ أحدًا بحرب ولا قتال، وإنما دُفِعَ إلى ذلك دفعًا، وما وجدنا رجلا واحدًا قُتِلَ لمجرد كونه مشركًا، بل لكونه يقاتل المسلمين.

ولكن في السيرة موقفان أحدهما كامل التسامح والمسالمة، والثاني كامل الانتقام وعدم قبول المعذرة، فالأول لما دخل النبي ﷺمكة فاتحا "قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ: اذْهَبُوا فأنتم الطّلقاء"(١)

والثاني ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد هو ابن معاذ بعث رسول الله ﷺ وكان قريبا منه فجاء على حمار فلما دنا قال رسول الله ﷺ "قوموا إلى سيدكم" . فجاء فجلس إلى رسول الله ﷺ فقال له "إن هؤلاء نزلوا على حكمك". قال فإني أحكم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى الذرية قال "لقد حكمت فيهم بحكم الملك"(٢) .

---

(١) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، ج٧ ص٧٥ .

(٢) رواه الإمام البخاري ك: الجهاد والسير باب: إذا نزل العدو على حكم رجل ج٣ ص ١١٠٧مرجع سابق المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، ج٧ ص٧٥ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ اسْتَنْزَلُوا، فَحَبَسَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ فِي دَارِ بِنْتِ الْحَارِثِ، امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ، الَّتِي هِيَ سُوقُهَا الْيَوْمَ، فَخَنْدَقَ بِهَا خَنَادِقَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ، يُخْرَجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالًا، وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللَّهِ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ، رَأْسُ الْقَوْمِ، وهم ستّ مائَة أَو سبع مائَة، وَالْمُكْثِرُ لَهُمْ يَقُولُ: كَانُوا بَين الثمان مائَة وَالتسع مائَة. وَقَدْ قَالُوا لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ، وَهُمْ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَالًا: يَا كَعْبُ، مَا تَرَاهُ يُصْنَعُ بِنَا؟ قَالَ: أَفِي كُلِّ مَوْطِنٍ لَا تَعْقِلُونَ؟ أَلَا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لَا يَنْزِعُ، وَأَنَّهُ مَنْ ذُهِبَ بِهِ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُ؟ هُوَ وَاَللَّهِ الْقَتْلُ! فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الدَّأْبُ حَتَّى فَرَغَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" (١).

قلت: تباين الموقفين من رسول الله لتباين الفعلين صحيح أن أهل مكة آذوه وأخرجوه من مكة لكن لم يكن بينهم وبين رسول الله عهد ثم نقضوه وفي الوقت نفسه كان نقض العهد من اليهود وقت الحرب وهذا يعتبر خيانة عظمى لأنها وقت الحرب وعقوبتها الإعدام، فلا ينبغي أن يتسامح في مثل هذه الخيانات حتى لا يتجرأ الناس على فعلها وتستشري وتستعظم بينهم.

❁❁❁

(١) السيرة النبوية لابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، جمال الدين تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م ج٢ ص٢٤٠.

المبحث الثاني
جهود الإسلام لتحقيق السلام

تمهيد:

كانت القبائل العربية وغيرها قديما يشعلون الحروب لعقود من الزمن لأسباب بسيطة، كسباق داحس والغبراء[1]، أو نيل ثأر، أو طلب كلأ، ويهدرون في ذلك الدماء، فجاء الإسلام الحنيف ليخرج الناس من هذه الحياة القلقة، وينقلهم إلى حيث الأمن والسكينة، فبعث الله محمدا في جزيرة العرب برسالة السلام، وأبان عن قدسية السلام، فوضع تلك الدماء، وبدأ صفحة جديدة من السلام بدأها رسول اللَّهِ ﷺ بنفسه فقال: " أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ "[2] "وفِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ إِبْطَالُ أَفْعَالِ الْجَاهِلِيَّةِ وَبُيُوعِهَا الَّتِي لَمْ يَتَّصِلْ بِهَا قَبْضٌ وَأَنَّهُ لَا قِصَاصَ فِي قَتْلِهَا وَأَنَّ الْإِمَامَ وَغَيْرَهُ مِمَّنْ يَأْمُرُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ يَنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ يَنْبَغِي أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى قَبُولِ قَوْلِهِ وَإِلَى طِيبِ نَفْسِ مَنْ قَرُبَ عَهْدُهُ بِالإسلام وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ تَحْتَ قَدَمَيَّ فَإِشَارَةٌ إِلَى إِبْطَالِهِ "[3].

---

(١) (وداحِس كان فَرَسًا لِقَيْسِ بْنِ زُهَير، والْغَبْرَاء لحذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ بْنِ عَمرو فقامت بسببهما حرب ودامت أربعين سنة بسبب سباق الفرسين بين قبيلتي عبس وذبيان) انظر السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمَّد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد ط: شركة الطباعة الفنية المتحدة ج١ ص٢٥٦.

(٢) رواه الإمام مسلم، كِ: الْحَجِّ بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ج٢ ص٨٨٦ مرجع سابق.

(٣) المنهاج شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، كِ: الْحَجِّ بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ،ج٨ ص١٨٢ .

والإسلام يصل الرحم حتى مع البعد في العقيدة، فأحل زيجة أهل الكتاب بالزواج منهم، وحين انتصر الرومان المسيحيون على الفرس الوثنيون فرح المؤمنون بهذا النصر، فهو يمد جسور المودة مع الغير وليس جدران العداوة، وقد جاور النبي اليهود وعاهدهم على السلام، وأرسل رسل السلام برسالة الإسلام إلى الملوك والأمراء، فسالم من سالمه، ورد عنه كيد المعتدي.

وهذا هو الأصل ألا يتأخر المسلمون عن دعوة السلام قال تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١ ﴾[1] فإن مال الآخر إلى المسالمة والمصالحة قبل منهم "والتعبير عن الميل إلى السلم بالجنوح تعبير لطيف، يلقي ظل الدَّعة الرقيق، فهي حركة جناح يميل إلى جانب السلم، ويُرخي ريشه في وداعة"[2].

ولكن لماذا جاء الضمير المتصل في الآية الكريمة مؤنثا في قوله تعالى: (فَٱجۡنَحۡ لَهَا)ولم يقل: فاجنح له؟ لأن الميل هنا لا يكون للسلم النظري الذي يتشدق به الآخر، وإنما يكون لعملية سلمية فعلية، فيكون السلم هنا بمعنى المسالمة التي فيها شية دلت على أنها دخلت حيز التنفيذ، قال أبو حيان رحمه الله .:" وَالسَّلْمُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ. فَقِيلَ: التَّأْنِيثُ لُغَةٌ، وَقِيلَ عَلَى مَعْنَى الْمُسَالَمَةِ، وَقِيلَ حَمْلاً عَلَى النَّقِيضِ وَهُوَ الْحَرْبُ "[3].

ويجوز في الإسلام أيضا دعاء الغير إلى الصُّلح ابتداءً ويجوزُ توجيه قوله تعال ى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ إلى ذلك "[4].

---

(١) سورة الانفال، الآية(٦١) .

(٢) في ظلال القرآن: ، ج٣ ص١٥٤٥ مرجع سابق.

(٣) البحر المحيط في التفسير: للإمام أبي حيان مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي مُحَمَّد جميل، ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، ج٥ ص٣٤٦ .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن: مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق:

وسوف أتحدث في هذا المبحث عن مطلبين هما:

المطلب الأول: جهود الإسلام في صناعة الفرد المسالم .

المطلب الثاني: مبادئ السلام في الإسلام .

المطلب الأول

جهود الإسلام في صناعة الفرد المسالم

يتربى الفرد المسلم في محضن السلام، منذ نشأته حيث السلام الأسري، فجعل المودة والرحمة هي الرابطة بين الزوج والزوجة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1] والتي تتمدد فتغطي الأبناء تحت هذه الخيمة التي تصنع جوا مختلطا من البر بالآباء، والعطف والرحمة على الأبناء، حتى حال الاعتداء، فهنالك فرصة للعفو والصفح والمغفرة، أي إحسان بعد إحسان قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾[2] ثم تمتد الخيمة لتشمل المجتمع كله فلا اعتداء على أحد، حتى ولو كان من باب الهزل، أو كان أخاه لأبيه وأمه عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قال سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ "مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ "[3] .

أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م، ج٤ ص٢٥٥ .

(١) سورة الروم، الآية (٢١) .

(٢) سورة التغابن، الآية (١٤) .

(٣) رواه الإمام مسلم، باب: النَّهْيِ عَنِ الإِشَارَةِ بِالسِّلاَحِ إِلَى مُسْلِمٍ، ك:البر والصلة والآداب، ج٤ ص٢٠٢٠ مرجع سابق.

ومن اعتدي عليه، فصبر وغفر ،فأجره على الله، وجاء الأجر نكرة ليغري بالعفو لأنه دل على التعظيم قال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ ﴾[1] ثم تتسع المظلة فتشمل العالم كله، فنحن أسرة واحدة ويجمعنا نسب واحد، وإنسانية واحدة، فإن اغتربت الفروع، فهنالك فرصة للتعارف، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾[2] فان اغتربت الديار واختلفت العقيدة بقيت فرصة للبر والقسط قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ ﴾[3] " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي خُزَاعَةَ كَانُوا قَدْ صَالَحُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَى أَنَّ لَا يُقَاتِلُوهُ وَلَا يُعِينُوا عَلَيْهِ أَحَدًا، فَرَخَّصَ اللَّهُ فِي بِرِّهِمْ "[4].

والمسلم يتربى على السلام النفسي-[5] قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾[6] فهو غير

---

(١) سورة الشورى، الآية (٤٠) .

(٢) سورة الحجرات، الآية (١٣) .

(٣) سورة الممتحنة، الآية (٨) .

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن: تفسير البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي(المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، ج٥ص٧١ .

(٥) السلام النفسي كاصطلاح علمي شائع يُطلق على أحد أفرع علم النفس، والذي يتعامل مع مفردات السلام النفسي وهي: السلام، الصراع، العنف، الحرب.

وتتحدد ملامح هذا الاصطلاح من خلال أربعة ركائز مترابطة، وهي: البحث، التربية، الممارسة، الدعوة. انظر: https://en.wikipedia.org/wiki/Peace_psychology، بحجم ١٢.٦ كيلوبايت (١٢,٩٤٥ بايت بتاريخ October 09, 2016 والباحث يقصد بالسلام النفسي: السلام الداخلي في النفس الناتج عن قلب لا يبيت وفي نفسه شيء لأحد وثمرته حالة الطمأنينة والسكينة التي تفيضها عقائد الإسلام وعباداته ومعاملاته وأخلاقه على الإنسان المسلم، فيصبح وقد حقق السلام مع نفسه، ومنه ينطلق في تعاملاته مع الحياة والأحياء.

معقد، ولكن ينظر إلى الأمور كلها على أنها خير من الله، ومن ثم فهو غير ناقم على مجريات الأمور، غير حاسد لأحد، فيمتد سلامه النفسي إلى العالم كله.

والمسلم بطبيعته يتربى على كره القتل والدماء، ويسعى بكل الطرق لتجنب القتال، حيث الجزاء الغليظ جدا لمن قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض، فمجموع الفرد في الإسلام يساوي مجموع البشرية جمعاء، لذا لم يأتِ الإذن بالقتال إلا بعد أن بُدئ المسلمون به، حينها لابد من الدفاع عن النفس قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾[1] .

والدستور الإلهي نص على هذا، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾[2] هذا المناخ الصحي، والبرمجة العصبية على حب السلام لا تكاد تجعل المرء يرفع يده بالاعتداء على أحد، فهذا السلام، قمته في السماء، وحصيره في الأرض يفترش الأرض جميعا ويحتوي الجميع، فلهم من السلام مهاد ومن فوقهم غواش سلام يلف الجميع في صورة نادرة تثمر الأخوة والمحبة والتعاون والذي يحول الدنيا إلى حضارة فائقة في ظل هذا التناغم العجيب، فهل هناك في العالم كهذا المناخ؟

توازن عملية السلام:

ودعوة السلام الجهيرة لا فارض ولا بكر، ولا ريث ولا عجل، فليس سلام الخنوع الذي معناه تجنب القتال بأي ثمن، فهذا سلم رخيص يقوم على حساب المبادئ العليا، وهذا

---

(٦) سورة البقرة، الآية (١٩٠) .

(١) سورة الحج، الآية (٣٩) (٢) سورة البقرة، الآية (١٩٠)

السلام الذي حذر الله منه قال تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾[1]

ففي الآية الكريمة "نهاهم عن السلم الرخيصة، لأنه ليس الكف عن القتال بأي ثمن هو غاية الإسلام، إنما غاية الإسلام السلم التي لا تتحيف حقاً من حقوق الدعوة، ولا من حقوق المسلمين، ولا من حقوق أشخاصهم وذواتهم"[2].

صحيح أن الله أمر أن بالميل بتجاوب مع من يميل إلى لسلام، بل يمكن أن نمد أيدينا بالسلام بداية لكل من أراد السلام، لكنه لا بد وأن يكون السلم عملية حقيقية وأن تقوم على العدالة، وتتسم بالمساواة التي لا تتحيف حقا من الحقوق، وإلا فهو سلام بطعم الاستسلام، فهانا الله عن هذه السلم الرخيصة وكيف لا ونحن الأعلون بمعية الله تعالى.

المطلب الثاني

مبادئ السلام في الإسلام

يرتكز السلام في الإسلام على مبادئ هامة تزن البيت العالمي تنبع من الوحدة الإنسانية، عمودها البر، ورابطتها التعارف والبر والرحمة وهي:

١- احترام الحرية الدينية:

إن من أهم أسباب العداوة بين الناس عدم احترام الحرية الدينية، ونلحظ هذا من تعصب أصحاب الديانات، حتى أصحاب الديانات الوضعية يتعصبون لها ضد المسلمين ،

(١) سورة محمد،الآية (٣٥) .

(٢) في ظلال القرآن: ج٢ ص٧٣٤ مرجع سابق.

لهذا أعطاها الله تعالى للناس قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1] وقال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾[2] فالسلام حق لكل مسالم ولو كان مخالفا في العقيدة، فسلام العقيدة مبدأ هام في إقرار السلام، وهو مبدأ مكفول لكل الناس نلمح هذا حينما أراد الله تعالى نزول الإنسان إلى الأرض لعبادته فعرض الله عليه، ولم يفرضه عليه قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾[3] فعرض ولم يفرض وقبلها الإنسان طواعية وكذلك الحال مع الأنبياء، فحينما اختار ابن نوح عليه السلام اللجوء للجبل، وعدم الذهاب مع آبيه كان بإمكانه أن يأمر أتباعه أن يأخذوه قسرا، ولكنه لم يفعل وحاوره، ثم تركه وحريته بعدما نصح له.

ومن هنا فقد جعل الله الإنسان حرا في اختيار عقيدته فجعل الحرية الدينية من مبادئ الإسلام، فإذا عرض الإسلام على الناس، ورفضوه، أو حتى جهلوا علي قائله فلا أكثر من قولنا لهم سلام عليكم قال تعالى:﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾[5].

---

(١) سورة الكهف، الآية (٢٩) .

(٢) سورة البقرة، الآية(٢٥٦) .

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٧٢) .

(٤) سورة الزخرف، الآيتان (٨٨، ٨٩) .

(٥) سورة القصص، الآية (٥٥) .

ولو شاء الله لحملهم علي الهدى، ولكنه سبحانه لا يريد قوالباً ولكن يريد قلوباً قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾[1].

والأمثلة على الحرية الدينية شواهدها كثيرة في التاريخ "فغالبية أهل الشام ومصر السفلى ظلت مسيحية في القرن التاسع الميلادي برغم أن الإسلام كان مضى عليه في هذه البقاع أكثر من مئتي سنة"[2] وكونهم ظلوا هذه السنين على عقيدتهم لمن أكبر الأدلة على الحرية الدينية.

ومن تمام الحرية الدينية ألا يمنع هذا النور عن الناس، فمن حقي أن أدعو، ومن حق الناس علي أن أصل إليهم بنور الله، وبقيت القوة في حالة منع هذا النور عن الناس، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[4].

---

(١) سورة يونس، الآية(٩٩) .

(٢) تاريخ الشرق الأوسط ص٣٦" **kirk:Ashort history of the middle east"p 36**"، نقلاً عن كتاب: مفهوم الحرب والسلام في الإسلام، د/ إبراهيم يحي الشهابي، ص ٣١، ط:منشورات مؤسسات في للطباعة ١٩٩٠م .

(٣) سورة البقرة، الآية (١٩٣) .

(٤) سورة الأنفال، الآية (٣) .

وآخر الدواء الكي بمعنى أنه "ينبغي للحاكم أن يبدأ عدوه باللين والمسالمة والبذل وطلب المواصلة والسكون، فإن لم يفعل، أو كان في الحال ما يقتضي خلاف ذلك، رجع معه إلى الفعل، ولا يصل معه إلى الحرب حتى تعوزه الحيل كلها" (١).

فالجهاد آخر الوسائل لتحقيق غاية وهي هداية الناس، فإن وجدت وسيلة أخرى كالدعوة فإن الشرع يرحب يقول الإمام شمس الدين الخطيب الشربيني(٢) .: "وَوُجُوبُ الْجِهَادِ وُجُوبُ الْوَسَائِلِ لَا الْمَقَاصِدِ، إذَا الْمَقْصُودُ بِالْقِتَالِ إنَّمَا هُوَ الْهِدَايَةُ وَمَا سِوَاهَا مِنْ الشَّهَادَةِ، وَأَمَّا قَتْلُ الْكُفَّارِ فَلَيْسَ بِمَقْصُودٍ حَتَّى لَوْ أَمْكَنَ الْهِدَايَةِ بِإِقَامَةِ الدَّلِيلِ بِغَيْرِ جِهَادٍ كَانَ أَوْلَى مِنْ الْجِهَادِ" (٣)، وهذا كلام وجيه جدا فالمعتبر في الكفر الدعوة، ولقد خاطب القرآن أصحاب الكتابين .ومن لحق بهم .بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٤) فلم يقل نحاربكم إذا توليتم، وإنما قال اشهدوا بإسلامنا أي ولكم دينكم. لكن إن منعوا الدعوة قوتلوا من أجل المنع، وليس الممانعة، فحرية العقيدة مبدأ مكفول وننتظر من الآخر المعاملة بالمثل .

---

(١) انظر الإشارة إلى أدب الإمارة، لأبي بكر مُحَمَّد بن الحسن الحضرمي المرادي، تحقيق: د/ رضوان السيد، ص:٢١٧، ٢١٨ .

(٢) هو: مُحَمَّد بن أحمد الشربيني، شمس الدين: فقيه شافعيّ، مفسر. من أهل القاهرة. له تصانيف، منها: السراج المنير، أربعة مجلدات، في تفسير القرآن، و"الإقناع في حل الفاظ أبي شجاع"، مجلدان، و"شرح شواهد القطر، و "مغني المحتاج"، أربعة أجزاء، في شرح منهاج الطالبين للنووي، و"تقريرات على المطول"، في البلاغة، و"مناسك الحج، توفي سنة ٩٧٧هـ، الموافق ١٥٧٠م. انظر: الأعلام للزركلي، ٦/٦، ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

(٣) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: للإمام شمس الدين، مُحَمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ج٦ ص٩ .

(٤) سورة آل عمران، الآية (٦٤) .

٢ – الكرامة الإنسانية:

الإسلام كرم الإنسان من حيث هو إنسان، فخلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، واستخلفه في أرضه، وسخر له ما في الكون وجعله محور الرسالات، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[١].

ولقد عاش أهل الكتابين في جناح المسلمين سنين عددا في هذا الحنو وفي الإسلام صورة مشرقة لمعاملة أهل الكتاب، ولقد وقف النبي لجنازة يهودي لكونه إنسانا.

٣– التعددية الثقافية:

الإسلام يؤمن بالتعددية، فالناس ليسوا نسخاً مكررة، ولكل منهم فكره وبيئته قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[٢].

٤ – العدالة والمساواة:

العدالة والمساواة من المبادئ التي يحققها الإسلام من منطلق قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[٣].

(١) سورة الإسراء، الآية (٧٠) .

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٨) .

(٣) سورة النساء، الآية (١) .

والعدالة والمساواة يحكمان القريب والبعيد، المسلم وغير المسلم، (فالمساواة مبدأ إسلامي يحترم الإنسان من حيث هو إنسان لا من حيثية أخرى، فانقسام الناس إلى قبائل ومجتمعات لا يقوم على أساس التمييز بل حمل على التقارب والتعارف)(١).

ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن عبد الحكم(٢) قال: " أتى رجل من أهل مصر. كما حدّثنا عن أبى عبيدة، عن ثابت البنانىّ وحميد، عن أنس إلى عمر بن الخطّاب فقال: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم، قال: عذت معاذا، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسّوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ويقدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصريّ؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط ....

(١) انظر: الإسلام دين السلام، د/كرم حلمي فرحات، ص ٦٥، ٦٦، ط:دار الآفاق العربية .

(٢) ابن عبد الحكم هو: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم وجه بارز في أسرة ابن عبد الحكم الذين كانوا من المؤرخين والفقهاء والمحدثين وأئمة المذهب في مصر في القرنين الثاني والثالث الهجريين وكانت لهم شهرة ونفوذ كبيرين وعلى أيديهم رئاسة المالكية في مصر.

ولد ابن عبد الحكم في الفسطاط حوالي سنة ١٨٧ هـ، وترعرع في مصر بآدابها وتقاليدها. أخذ الفقه والحديث عن أبيه وعن العديد من العلماء أمثال يونس بن يحيى، وأبي زرعة وهب الله بن راشد، وشعيب بن ليث، وليث بن سعد، وغيرهم.ولقد وثق عبد الرحمن ونقل عنه الحديث الكثير من الحفاظ والرواة أمثال أبي الحاتم الرازي، والنسائي.

وقعت أسرته في عهد المتوكل في بقعة المشاكل والصعوبات. والاضطرابات التي حدثت بعد ثورة علي بن عبد العزيز الجروي في مصر نالت من عبد الرحمن حيث زُجّ في السجن وصودرت أمواله ولاقى ألوان التعذيب وقُتل أخوه حتى أطلق سراحه بأمر أبي عثمان في سنة ٢٣٧ هـ. أما الفترة ما بعد خلاصه من السجن وحتى وفاته التي طالت عشرين سنة فلا توجد معلومات حولها.

واتصاله بالحكام وحصوله على أسناد الحكومة وأسرارها وكذا الاستماع إلى أخبار وروايات الصحابة والتابعين الذين كانوا قد جاؤوا إلى مصر، مهّدت له أرضية التوجه إلى التاريخ حتى كتب مما حصل عليه من معلومات كتاب «فتوح مصر وأخبارها» وهو أقدم كتاب مدون في تاريخ العهد الإسلامي بمصر.."انظر مقدمة كتابه فتوح مصر والمغرب ص٥.

ثم قال عمر لعمرو: مذ كم تعبّدتم الناس وقد ولدتهم أمّهاتهم أحرارا؟"[1] وقد ضمن الإسلام العدل للغير، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[2] بل تقيمه على نفسك، ومع أقرب الناس إليك، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[3] فالعدل أساس السلام، ولا نضمن سيادة السلام إلا بإفشاء العدل بين الناس، وكيف نضمن سلوك من يشعر بالظلم حين يملك بعض الدول حق الاعتراض "الفيتو" ولا يملك البعض الآخر، وكيف يسوغ لبعض الدول أن تمتلك السلاح النووي وتحظره على الباقين، ثم صارت تكتلات اقتصادية ليسود قانون البقاء للأقوى. وقد جاء في ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم"[4] فأين هذا من التطبيق المجتمعي الواقعي.

---

(١) فتوح مصر والمغرب: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (المتوفى: ٢٥٧هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية عام النشر: ١٤١٥هـ، ج١ ص١٩٥.وانظر فتوح مصر وأخبارها ج١ ص١٨٣.

(٢) سورة المائدة، الآية (٨) .

(٣) سورة النساء، الآية (١٣٥) .

(٤) موقع الأمم المتحدة على الشبكة الدولية .

٥ – الالتزام بالعهود والمواثيق:

الإسلام يحترم الوفاء بالعهود ويحث على الوفاء بها قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[1].

٦– التعاون الدولي ضد الاعتداء:

اتحاد الناس ضد الظلم مبدأ إسلامي وقد شهد الرسول مثل هذا الاجتماع قبل بعثته فعَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِيَ بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الإسلام لَأَجَبْتُ"[2].

٧– احترام رأي المخالف:

التنازل قليلا من أجل السلام مبدأ إسلامي سنه رسول الله وهو مبدأ الخسارة القليلة من أجل المكسب الكبير، ومثاله ما تم في صلح الحديبية بين رسول الله وبين مشركي العرب

هذه الأعمدة وغيرها من المبادئ لا يبنى سلام بدونها وإلا صار بيتا أوهن من بيت العنكبوت لا يقوم على شيء، وقد وصل إلى بعضها العالم بعد ويلات من الحروب المستعرة، لكنها تنتظر التطبيق.

---

(١) سورة النحل، الآية (٩١) .

(٢) رواه الإمام البيهقي في الكبرى تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا ك: قَسْمِ الْفَيْءِ وَالْغَنِيمَةِ بَابُ: إِعْطَاءِ الْفَيْءِ عَلَى الدِّيوَانِ وَمَنْ يَقَعُ بِهِ الْبِدَايَةُ ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م ج٦ ص٥٩٦ .وصححه العلامة المحدث مُحَمَّد ناصر الدين الألباني في تخريجه ل فقه السيرة: للشيخ/ مُحَمَّد الغزالي ط : دار القلم – دمشق الطبعة : السابعة – ١٩٩٨ ج١ ص٦٧

المبحث الثالث

السلام ومشروعية الجهاد

إذا كانت الحرب ضرورة في بعض الأحيان لمواجهة الواقع، فإن السلام هو القاعدة، والحرب استثناء، وقد يكون من المستغرب وضع هذا المبحث في بحث السلام، ولكنها الواقعية التي هي أصل في بنية هذا الدين، فلا سلام بغير قوة تحميه.

وعندما أمر الإسلام بإعداد القوة، ورباط الخيل لم يكن ذلك في المقام الأول من أجل الحرب، وإنما من أجل السلام "فالحرب التي يعلنها الإسلام هي لتأمين السلام العالمي، والتي يعبر عنها القرآن بالجهاد"(١) وذلك لردع من تسول له نفسه بالاعتداء، فلا يكون هناك قتال أصلا قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾(٢)، فلا ريب أن بعض النفوس لها مطامع وأهواء، فكان لا بد من تكافئ القوى كضمانة لحفظ المصالح والتعايش السلمي.

وهذا المبحث سأبينه في أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم السلم.

المطلب الثاني: جهاد الكفار لاعتدائهم لا لفساد عقيدتهم.

المطلب الثالث: آية السيف وحديث السيف.

المطلب الرابع: جهاد الطلب(جهاد فارس والروم).

---

(١) نظام الحرب والسلم في الإسلام، مصطفى السباعي، ط:مكتبة الوراق، ص٥٠ .

(٢) سورة الأنفال، الآية (٦٠) .

المطلب الأول

الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم السلم

الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم السلم، ويرى الشيخ أبو زهرة (أن فكرة أصل علاقة المسلمين بغيرهم الحرب أم السلم؟ نبتت والحرب مشتعلة بين المسلمين وغيرهم، وأخذ بعض الفقهاء أن الأصل هي الحرب من الواقع لا من أصل النصوص، ومنهم من أخذها من النصوص واعتبر العلاقة هي السلم، وهم الأكثرية)[1].

كما أن النهي عن موالاة الكفار لا يعني عدم مسالمتهم صحيح أن الله تعالى حرّم على المؤمنين أن يتخذوا اليهود والنصارى أولياء أي: أنصاراً وأصدقاء أخلاء قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[2] لكن ليس النهي عن موالاة الكفار هو النهي عن مسالمتهم، وإنما النهي عن اتخاذهم أخدانا يستنصر بهم ويطمأن إليهم، فالشارع لا يعتبر كل تقرّب إليهم موالاة بل بعضه برا وإحسانا "فالبر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه"(٣) في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾(٤) أما من اعتنى بأمر بعضهم على جهة الرحمة بغية استمالتهم إلى الإسلام فلا بأس قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(٥).

---

(١) العلاقات الدولية في الاسلام، الشيخ/ مُحَمَّد ابو زهرة، ص٥٤ .

(٢) سورة الممتحنة، الآية (١) .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: كِ: الْمُزَارَعَةِ بَابُ: الْهَدِيَّةِ لِلْمُشْرِكِينَ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّين) ج٥ ص ٢٣٣مرجع سابق .

(٤) سورة المجادلة، الآية (٢٢) .

(٥) سورة الممتحنة، الآية (٨) .

فموالاة الكافر تنقسم ثلاثة أقسامٍ:

الأول: أن يَرْضَى بكفره، ويُصَوِّبَه، ويواليَه لأجْلِه، فهذا كافر؛ لأنه راضٍ بالكفر ومُصَوِّبٌ له.

الثاني: المعاشرةُ الجميلةُ بحَسَب الظاهر، وذلك غير ممنوع منه.

الثالث: الموالاة، بمعنى الركون إليهم، والمعونة، والنُّصْرة، إما بسبب القرابة، وإما بسبب المحبة مع اعتقاد أن دينَه باطل - فهذا منهيٌّ عنه، ولا يوجب الكفر؛ لأنه - بهذا المعنى - قد يجره إلى استحسان طريقِه، والرِّضَى بدينه، وذلك يخرجه عن الإسلام، ولذلك هدد الله بهذه الآية(١). فقال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾[٢].

المطلب الثاني

جهاد الكفار لاعتدائهم لا لفساد عقيدتهم

للجهاد جوانب كثيرة، فهناك الجهاد بالعمل، والجهاد بإنفاق المال، وجهاد النفس، أما الجهاد بمعنى القتال فلا يكون إلا عند الضرورة، ولكن ما هي الضرورة المبيحة للقتال؟ هل هو اعتداء الكفار؟ أم فساد عقيدتهم؟ هذا موضوع هام ينبغي أن يحرر، وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة صغيرة وخلص إلى أن قتال الكفار هو للاعتداء فقال: (وقتال

---

(١) اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي مُحَّد معوض، ج٥ ص ١٤٣، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ. ١٩٩٨م .

(٢) سورة آل عمران، الآية (٢٨) .

الكفار هل سببه المقاتلة، أم مجرد الكفر فالجمهور قال بالأول، والشافعي قال بالثاني، ورأي الجمهور هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة والاعتبار قال تعالى:﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[1] وتعليق الحكم بأنهم يقاتلوننا دل على أن هذا علة القتال)[2] .

فالقتال لا يكون إلا لرد الاعتداء سواء كان على النفس، أو الدعوة، فمبرر الكفر الدعوة فان منعوها قوتلوا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَإِذَا كَانَ أَصْلُ الْقِتَالِ الْمَشْرُوعِ هُوَ الْجِهَادُ وَمَقْصُودُهُ هُوَ أَنْ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَأَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَمَنْ امْتَنَعَ مِنْ هَذَا قُوتِلَ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْمُمَانَعَةِ وَالْمُقَاتِلَةِ كَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالرَّاهِبِ وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْأَعْمَى وَالزَّمِنِ وَنَحْوِهِمْ فَلَا يُقْتَلُ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ؛ إلَّا أَنْ يُقَاتِلَ بِقَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَرَى إبَاحَةَ قَتْلِ الْجَمِيعِ لِمُجَرَّدِ الْكُفْرِ؛ إلَّا النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ؛ لِكَوْنِهِمْ مَالًا لِلْمُسْلِمِينَ. وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّوَابُ؛ لِأَنَّ الْقِتَالَ هُوَ لِمَنْ يُقَاتِلُنَا إذَا أَرَدْنَا إظْهَارَ دِينِ اللَّهِ"[3] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[4] وَفِي السُّنَنِ عَنْهُ ﷺ "أَنَّهُ مَرَّ عَلَى امْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ قَدْ وَقَفَ عَلَيْهَا النَّاسُ. فَقَالَ: مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ"[5] .

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٩٠) .

(٢) انظر: قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم لشيخ الإسلام ابن تيمية، حققها: د/ عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل أحمد، ص٨٧ .

(٣) مجموع الفتاوى: للإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج٢٨ ص ٣٥٤، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

(٤) سورة البقرة، الآية (١٩٠) .

(٥) رواه الإمام أبو داود، ك:الجهاد، باب: قتل النساء المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ج٤ ص٣٠٤، وقال المحقق إسناده صحيح .

وقال أيضا رحمه الله .: "الكفار إنما يُقاتلون بشرط الحراب؛ كما ذهب إليه جمهور العلماء، وكما دل عليه الكتاب والسنة"(١) .

وقال الإمام ابن القيم .: "قَالُوا وَلِأَنَّ الْقَتْلَ إِنَّمَا وَجَبَ فِي مُقَابَلَةِ الْحِرَابِ لَا فِي مُقَابَلَةِ الْكُفْرِ وَلِذَلِكَ لَا يُقْتَلُ النِّسَاءُ وَلَا الصِّبْيَانُ وَلَا الزَّمْنَى وَالْعُمْيَانُ وَلَا الرُّهْبَانُ الَّذِينَ لَا يُقَاتِلُونَ بَلْ نُقَاتِلُ مَنْ حَارَبَنَا"(٢).

فالجمهور يقولون: لا يُقتَل إلاَّ مَن كان من أهل القتال، أو مِن المعاونين لهم على القتال في الجملة، وهو أحد القولين. المقابل للأظهر. عند الشافعية.

قالت السادة المالكية: " وَأَمَّا النِّسَاءُ فَإِنْ كَفَفْنَ أَذَاهُنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَلَزِمْنَ قَعْرَ بُيُوتِهِنَّ فَلاَ خِلاَفَ فِي تَحْرِيمِ قَتْلِهِنَّ، وَإِنْ شَعَرْنَ فِي مَدْحِ الْقِتَالِ وَذَمِّ الْفِرَارِ، فَإِنْ قَاتَلْنَ وَبَاشَرْنَ السِّلاَحَ فَلاَ خِلاَفَ فِي جَوَازِ قَتْلِهِنَّ فِي حِينِ الْقِتَالِ فِي الْمُسَايَفَةِ لِوُجُودِ الْمَعْنَى الْمُبِيحِ لِقَتْلِهِنَّ ثم قال: وَالصَّبِيُّ وَالْمُرَاهِقُ كَالنِّسَاءِ فِي جَمِيعِ مَا ذَكَرَ، وَاخْتُلِفَ فِيهِ إِذَا أَنْبَتَ وَلَمْ يَحْتَلِمْ فَالْمَذْهَبُ عَلَى قَوْلَيْنِ، وَأَمَّا الشَّيْخُ الْفَانِي الَّذِي لَا يُخْشَى مِنْهُ نِكَايَةٌ وَلَا يُتَّقَى مِنْ وَرَائِهِ غَائِلَةٌ ذَمِيمَةٌ فَلاَ إِشْكَالَ أَنَّهُ لَا يُقْتَلُ "(٣) .

---

(١) النبوات: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن مُحَمَّد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، ط: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج١ ص٥٧٠ .

(٢) أحكام أهل الذمة: للإمام مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)المحقق: يوسف بن أحمد البكري – شاكر بن توفيق العاروري، ط. رمادي للنشر، الدمام الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ج١ ص١١٠ .

(٣) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ)، ط: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ج٣ ص٣٥٠ .

وقالت السادة الحنفية: " وَلَا يَقْتُلُوا امْرَأَةً وَلَا صَبِيًّا وَلَا شَيْخًا فَانِيًا وَلَا مُقْعَدًا وَلَا أَعْمَى، لِأَنَّ الْمُبِيحَ لِلْقَتْلِ عِنْدَنَا هُوَ الْحِرَابُ وَلَا يَتَحَقَّقُ مِنْهُمْ، وَالشَّافِعِيُّ .رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .يُخَالِفُنَا فِي الشَّيْخِ الْفَانِي وَالْمُقْعَدِ وَالْأَعْمَى لِأَنَّ الْمُبِيحَ عِنْدَهُ الْكُفْرُ، وَالْحُجَّةُ عَلَيْهِ مَا بَيَّنَّا "(١).

وقالت السادة الحنابلة: "وَمَنْ قَاتَلَ مِنْ هَؤُلَاءِ أَوْ النِّسَاءِ أَوْ الْمُشَايِخِ أَوْ الرُّهْبَانِ فِي الْمَعْرَكَةِ قُتِلَ لَا نَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا وَبِهَذَا قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ وَالثَّوْرِيُّ وَاللَّيْثُ وَالشَّافِعِيُّ وَأَبُو ثَوْرٍ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ، ..... "وَلِأَنَّ النَّبِيَّ – ﷺ .وَقَفَ عَلَى امْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ، فَقَالَ: مَا بَالُهَا قُتِلَتْ، وَهِيَ لَا تُقَاتِلُ "(٢) . وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ إنَّمَا نَهَى عَنْ قَتْلِ الْمَرْأَةِ إذَا لَمْ تُقَاتِلْ، وَلِأَنَّ هَؤُلَاءِ إنَّمَا لَمْ يُقْتَلُوا لِأَنَّهُمْ فِي الْعَادَةِ لَا يُقَاتِلُونَ "(٣). ويفهم من هذه النقول أن القتال لمن قاتل أيا كان والعكس صحيح.

فالإسلام لا يدعو للحرب إلا لأغراض سامية، وهي رد الاعتداء بأشكاله، وإذا اضطر المسلمون إليها – في ملابسات استثنائية .فيرأف الإسلام بأن يعطي أروع الأمثلة في البر: بألا يغدر، ولا يمثل، ولا يقتل شيخا ولا امرأة ولا طفلاً، فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ

---

(١) العناية شرح الهداية: مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي (المتوفى: ٧٨٦هـ)، ط: دار الفكر، الطبعة بدون طبعة وبدون تاريخ، ج٥ ص٤٥٢ .

(٢) رواه الإمام أبو داوود ك: الجهاد، بَابٌ: فِي النَّهْيِ عَنِ الْمُثْلَةِ ج٣ ص٥٣مرجع سابق ولفظه عن رَبَاحِ بْنِ رَبِيعٍ ، قَالَ :كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ فَبَعَثَ رَجُلاً ، فَقَالَ : انْظُرْ عَلاَمَ اجْتَمَعَ هَؤُلاَءِ ؟ فَجَاءَ فَقَالَ : عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ . فَقَالَ : مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ قَالَ : وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَعَثَ رَجُلاً . فَقَالَ : قُلْ لِخَالِدٍ لاَ يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلاَ عَسِيفًا.ويؤيده حديث البخاري" عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْتُولَةً ، فَنَهَى عَنْ قَتْل النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ" .

(٣) المغني لابن قدامة: أبو مُحَمَّد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن مُحَمَّد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، ط: مكتبة القاهرة، ج٩ ص٣١٣ .

مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: "اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ – أَوْ خِلَالٍ – فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ.....الحديث"(١)

فالجهاد كالدواء يضطر إليه الإنسان أحيانا قال تعالى﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾(٢) وقبل اللقاء يعلمهم المسلمون بذلك أما حديث عَوْنٍ، قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى نَافِعٍ أَسْأَلُهُ عَنِ الدُّعَاءِ قَبْلَ الْقِتَالِ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيَّ: " إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الإسلام، قَدْ أَغَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺعَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُّونَ(٣)، وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى الْمَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَسَبَى سَبْيَهُمْ، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ. قَالَ يَحْيَى: أَحْسِبُهُ قَالَ. جُوَيْرِيَةَ. أَو قَالَ: الْبَتَّةَ. ابْنَةَ الْحَارِثِ "(٤).

قلت قد كان منهم تجهيز للجيش، ومبادأة بالاستعداد للقتال، فالتقاهم رسول الله، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ يَجْمَعُونَ لَهُ، وَقَائِدُهُمْ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ أَبُو جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، زَوْجِ رَسُول الله ﷺ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهِمْ خَرَجَ إِلَيْهِمْ، حَتَّى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ: الْمُرَيْسِيعُ.....الحديث(٥).

---

(١) رواه الإمام مسلم ،ك: الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ: تَأْمِيرِ الْإِمَامِ الْأُمَرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ، وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ وَغَيْرِهَا. ، ج٣ ص مرجع سابق .

(٢) سورة البقرة، الآية (٢١٦) .

(٣) غارُّون أي: غافِلُون.

(٤) رواه الإمام مسلم كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ بَابُ جَوَازِ الْإِغَارَةِ عَلَى الْكُفَّارِ الَّذِينَ بَلَغَتْهُمْ دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ، مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمِ الْإِعْلَامِ بِالْإِغَارَة ج٣ ص١٢٥٦مرجع سابق.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م، ج٢ ص٢٨٩ .

وعلى ضوء هذا تكون معاملة الإسلام لمن تُخْشَى خيانتهم أن يُنبَذُ إليهم قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[1].

فرسول الله لم يباغت أحدا بقتال ويؤيد هذا حديث ابن عباس قَال: ما قاتل رسول الله ﷺ. قوماً حتى يدْعُوَهم "[2].

والعلة في قتال الكفار واحدة هي "الاعتداء" لأنه لا بد من حمى الذمار سواء كان الاعتداء على النفس، أو الدعوة، أو المستضعفين الموجودين في دول غير الإسلام، وغيرها من أشكال الاعتداء، فرد العدوان ،وحماية الدعوة، وحماية حرية انتشار الدين، وحماية المستضعفين هي علة الجهاد، فقتال الكفار لاعتدائهم وليس لفساد عقيدتهم.

فإذا عطلت إذاعتهم أو صودرت كتبهم وجب إزالة الحواجز، والعقبات التي تعترض طريق تبليغ الدعوة، حتى يكسر السياج الحديدي الذي تختفي وراءه الفلسفات الهادية التي تفتن الناس، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[3] فمن لهؤلاء الذين يولدون في بلاد يعلمونهم أن المسيح هو الله؟ ومن لهؤلاء الذين يولدون في بلاد يعلمونهم أن البقرة هي الإله؟ ومن لهؤلاء الذين يولدون في بلاد يتعلمون أنه ليس للكون إله، فهذه مهمة هذه الأمة الشاهدة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ

(١) سورة الأنفال، الآية (٥٨) .

(٢) رواه الإمام أحمد مسند بني هاشم حديث العباس بن عبد المطلب عن النبي –ﷺ–المحقق: أحمد محمد شاكر، ط: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، ج٢ ص٥٠٣، وقال المحقق إسناده صحيح، وهو في مجمع الزوائد ٥: ٣٠٤، وقال: "رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح".

(٣) سورة الأنفال، الآية (٣٩) .

ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا ﴾[1]، ستشهد هذه الأمة على الأمم عند الله تعالى أنها بلغت لهم دين الإسلام وعلمّتهم وذهبت إليهم وجاهدت في سبيل ذلك.

فمن فتن المستضعفين من المسلمين، أو منع من أراد الدخول في الإسلام، فهذا نوع من الاعتداء، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥ ﴾[2].

وهناك لطيفة نلمحها من الفرق بين آية البقرة وآية الأنفال وهي أنه قال في آية الأنفال كله في قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ ﴾[3] ولم يقل ذلك في آية البقرة في قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣ ﴾[4] فآية البقرة سياقها يتحدث عن كفار قريش، ودينهم بعض الدين، لا كله، وفي آية الأنفال في الكفار عموماً، فناسب التعميم يقول أبو حيان الأندلسي. رحمه الله: " قِيلَ وَجَاءَ فِي الْأَنْفَالِ: "وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ" ولم يجئ هُنَا: كُلُّهُ، لِأَنَّ آيَةَ الْأَنْفَالِ فِي الْكُفَّارِ عُمُومًا، وَهُنَا. يقصد في البقرة. فِي مُشْرِكِي مَكَّةَ، فَنَاسَبَ هُنَاكَ التَّعْمِيمُ، وَلَمْ يُحْتَجْ هُنَا إِلَيْهِ. قِيلَ: وَهَذَا لَا يَتَوَجَّهُ إِلَّا عَلَى قَوْلِ مَنْ جَعَلَ الضَّمِيرَ فِي: وَقَاتِلُوهُمْ، عَائِدًا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ "[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٣) .

(٢) سورة النساء، الآية (٧٥) .

(٣) سورة الأنفال، الآية (٣٩) .

(٤) سورة البقرة، الآية (١٩٣) .

(٥) البحر المحيط في التفسير: ، ج٢ ص ٢٤٧، مرجع سابق.

(وقتال المسلمين لغيرهم – حال منع الدعوة- إنَّما هو لمصلحة عموم المشركين الذين يخضعون لسلطان الكفر، لأنَّ المسلمين يريدون بهذا القتال رفع هذا الحكم الكافر عنهم، وإزالة شرائعه الباطلة، ورفع الحواجز عن عموم الناس لرؤية الإسلام وشرائعه، فمن شاء آمن، ومن شاء بقي على كفره ،وهذا كله من مصلحة المشركين الدنيوية والأخروية، أمَّا الدنيوية فتظهر في تمتعهم بعدل الإسلام، والمحافظة على أموالهم وحقوقهم، وأمَّا الأخروية، فبتهيئة سبل رؤيتهم الإسلام، واحتمال دخولهم فيه عن رضًى واختيار، لا عن جبر وإكراه، وفي هذا سعادتهم وفوزهم في الآخرة)[1].

والجهاد في سبيل الله ليست غايته حمل الناس على الإسلام، فالقلوب لا تفتح بالقوة، وإنما يعمل على إزالة العقبات والحواجز التي تحول بين الناس وإبلاغهم دعوة الإسلام.

ومن علل الجهاد دفع الظلم ورد الكيد قال تعالى:﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[2]. قال تعالى:﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[4].

(١) أصول الدعوة: د/ عبد الكريم زيدان، ص ٢٧٧ بتصرف، ط:مؤسسة الرسالة .

(٢) سورة الحج، الآية (٣٩) .

(٤) سورة البقرة، الآية (١٩٠) .

(٤) سورة التوبة، الآيتان (١٢-١٣) .

فالآيات السابقة معللة بقيد الاعتداء بيد أن هناك آيات مطلقة تدعو لقتال الكفار دون قيد مثل قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾[2] فتحمل الآيات المطلقة على الآيات المقيدة، ومن القواعد الأصولية المقررة أن: " الْمُطْلَقُ يُحْمَلُ عَلَى الْمُقَيَّدِ مِنْ جِهَةِ الْقِيَاسِ إذَا وُجِدَ الْمَعْنَى فِيهِ "[3] .

وهناك من السنة أيضا ما يؤيد سلم من سالمنا، فعن أبي سكينةَ عن رجُلٍ من أصحابِ النبي – ﷺ .عن النبيِّ – ﷺ .أنه قال: "دعوا الحَبَشة ما وَدَعُوكم، واتركوا التُّرك ما تَركوكم"[4] فالإسلام لا يحارب من أجل العصبية العنصرية، أو الدينية، أو المطامع والمنافع، أو الأمجاد الزائفة.

والقانون العام قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠﴾ [5] أَيْ: فَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوهُمْ، مَا دَامَتْ حَالُهُمْ كَذَلِكَ، وَهَؤُلَاءِ

---

(١) سورة التوبة، الآية (١٤) .

(٢) سورة التوبة، الآية (١٢٣) .

(٣) المغني لابن قدامة،ج٨ ص٢٢، مرجع سابق .

"والمطلق يحمل على المقيد فيما إذا اتحد الحكم ولو اختلف السبب" الشرح الميسر لقواعد الأصول ومعاقد الفصول: أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمية مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي.

(٤) رواه الإمام أبو داود ك: الملاحم، بَابُ: في النهي عن تهييج التُّرك ج٦ ص٣٥٨،مرجع سابق وقال المحقق حسن لغيره .

(٥) سورة النساء، الآية (٩٠) .

كَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ خَرَجُوا يَوْمَ بِدْرٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، فَحَضَرُوا الْقِتَالَ وَهُمْ كَارِهُونَ، كَالْعَبَّاسِ وَنَحْوِهِ، وَلِهَذَا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ يومئذ عن قتل العباس وأمر بأسره"(١).

وقد نأى الإسلام عن جوانب الطمع، وإذلال الضعفاء، وتوخّي أن يكون الجهاد طريقا إلى السلام .

المطلب الثالث

آية السيف وحديث السيف

من أساسيات التعامل مع القرآن الكريم جمع النصوص في الموضوع الواحد، وعدم القول بالنسخ إلا بدليل، وقد ترجع نظرة بعض المفسرين للجهاد جراء اجتزاء الآيات من مواقعها بعيدا عن كامل مضمونها، أو القول بالنسخ مع عدم إقامة الدليل على ذلك .

والمطالع لبعض كتب التفسير يجد أن آية السيف. في قول واحد على الأقل. نسخت كل جمال وموادعة في القرآن من العفو والصفح، ومثاله ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١ ﴾(٢) قال الإمام البيضاوي: "والآية مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف"(٣) وقال الإمام أبو

(١) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج٢ ص٣٧١ .

(٢) سورة التوبة، الآية (٦٠) .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ج٣ ص ٦٥، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى أ ١٤١٨هـ .

حيان "وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: "لَا إِكْراهَ فِي الدِّينِ" أَهِيَ مَنْسُوخَةٌ؟ أَمْ لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ؟ فَقِيلَ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ، وَهِيَ مِنْ آيَاتِ الْمُوَادَعَةِ الَّتِي نَسَخَتْهَا آيَةُ السَّيْفِ"(١)

وقال الإمام القرطبي: قَوْلُهُ تَعَالَى: "فَذَكِّر" أَيْ فَعِظْهُمْ يا مُحَمَّدُ وَخَوِّفْهُمْ. إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ أَيْ وَاعِظٌ. ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾(٢) أَيْ بِمُسَلَّطٍ عَلَيْهِمْ فَتَقْتُلَهُمْ. ثُمَّ نَسَخَتْهَا آيَةُ السيف"(٣).

وهكذا في جل التفاسير دون تعقيب، أو ترجيح، وتأتي الخطورة من قراءة الشباب هذه الأقوال، فليس أمامه إلا أن يرجح، وهنا مكمن الخطورة، فغالباً ما يختار ما يتوافق مع تطلعاته

والفكرة التي يمكن أن تفهم من بعض الفقهاء هي أن آية السيف نسخت آيات الموادعة مع الكفار، وإذا قوي المسلمون وصارت لهم القوة والهيبة، يقاتلوا جميع الكفار حتى يدخلوا في دين الله، إما مطلقا على قول البعض، وإما يستثنى من ذلك اليهود والنصارى والمجوس على القول الآخر، فيقاتلوا حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية، والعلة كما ترى هي الكفر كما يفهم من كلامهم.

وآية السيف كما قال الفقهاء هي قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾(٤)، فأمر بقتال جميع الكفار، فهذه أية السيف، وقيل: الآية التي قبلها، وقيل: هما وقوله: ﴿قَٰتِلُواْ

(١) البحر المحيط في التفسير: ،، ج٢ ص٦١٥ مرجع سابق.

(٢) سورة الغاشية، الآية (٢٢) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن " تفسير القرطبي": للإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ج٢٠ ص٣٧ .

(٤) سورة التوبة، الآية (٣٦) .

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[1] هذه الآيات نسخت كل موادعة في القرآن مع الكفار، وهي مئة وأربع عشرة آية"[2].

وتأثر البعض بهذا فقالوا قتال الكفار" ثلاث مراتب" – في صدر الإسلام فيه الكف والصفح عن المشركين، ثم انتقل إلى حال آخر، وهو الإذن في قتال من قاتل، لقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ﴾، ثم بعد ذلك الأذان الأمر بقتال المشركين، كما قال: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾وهي آية السيف. فهذا هو العلة "فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم" فالمعروف أن المشركين يقاتلون لأجل شركهم، لا لأجل عدوانهم ومن أدلته حديث السيف: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله"[3].ولم يقل: نقاتل من قاتلنا"[4].

رد العلماء على آية السيف:

والحقيقة أن آية السيف نزلت في مشركي الحجاز خاصة.كما يظهر من سياق سورة التوبة ـ والحكمة هي ألا يجتمع في جزيرة العرب دينان كونها بيضة الإسلام وقبته، فنزل النداء للمشركين إن شئتم ادخلوا في الإسلام تسلموا، وإن أبيتم فلكم فرصة أربعة أشهر، فكروا فيها، وبعد ذلك اذهبوا إلى الشرق أو إلى الغرب، فإن رفضتم الإسلام وبقيتم في جزيرة

---

(١) سورة التوبة، الآية (٢٩) .

(٢) انظر النجم الوهاج في شرح المنهاج: كمال الدين، مُحَمَّد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، ط: دار المنهاج (جدة)، المحقق: لجنة علمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م ج٩ص٢٨٧ .

(٣) رواه الإمام مسلم بَابٌ:" الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله " ك: الإِيمَانِ ج١ص٥١ مرجع سابق .

(٤) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ: مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (المتوفى: ١٣٨٩هـ)، جمع وترتيب وتحقيق: مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن قاسم، ج ٦ ص ١٩٦ الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة.

العرب، فإنه لا مناص من قتلكم وإنهاء وجودكم قال تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ ولكن البعض اقتطعها من سياقها اقتطاعا وقالوا أنها تطال جميع أهل الأرض جميعاً من غير المسلمين.

(والحقيقة أن آية براءة المسماة بآية السيف إنما نزلت في مشركي العرب خاصة الذين نقضوا العهود وتعدوا الحدود ولم تكن لهم دولة تمثلهم تسمح بالتفاهم معها، فجعل الإسلام جزيرة العرب أو على الأقل منطقة الحجاز حرما للإسلام يخلص له ولا يبقى فيه من سلطان للوثنية أو لدين آخر واستثنى من له عهد محدد المدة، وأعطى مهلة أربعة أشهر يفكرون فيها وكانت معاملة استثنائية وأصبح أمرا تاريخيا انتهى بأسبابه ودوافعه، ودخل هؤلاء العرب في الإسلام مختارين قبل انتهاء المدة التي حددت لهم)[2] .

ويقول صاحب المنار رحمه الله: "وَالْحَقُّ مَا قَرَّرْنَاهُ فِي تَفْسِيرِهَا مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُشْرِكِينَ فِيهَا مُشْرِكُو الْعَرَبِ، فَهُوَ عَامٌّ مُرَادٌ بِهِ الْخُصُوصُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ -كَأَهْلِ الْكِتَابِ- وَيُؤَيِّدُ هَذَا مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْآيَاتِ فِي تَعْلِيلِ قِتَالِهِمْ وَأَدِلَّتِهِ، وَكَذَا الْأَحَادِيثُ النَّاطِقَةُ بِوُجُوبِ جَعْلِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ خَاصَّةً بِالْمُسْلِمِينَ "[3] .

(١) سورة التوبة، الآية (٣) .

(٢) انظر: فقه الجهاد، د/ يوسف القرضاوي، ج١ ص٤٥١-٤٥٨ .

(٣) تفسير المنار": مُحَمَّد رشيد بن علي رضا بن مُحَمَّد شمس الدين بن مُحَمَّد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، ج١٠ ص ٢٦٣، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م .

وقال صاحب الظلال رحمه الله: "ولقد نبهنا قبل على أن أهل التأويل والمفسرين يسمون الآية الثانية من الآيتين اللتين نحن في صددهما آية السيف، ويعتبرونها ناسخة لكل آية فيها أمر بالتسامح والتساهل مع المشركين وإمهالهم والإغضاء والصفح والإعراض عنهم، وتوجب قتالهم إطلاقاً، وبعضهم يستثني المعاهدين منهم إلى مدتهم، وبعضهم لا يستثنيهم ولا يجوّز قبول غير الإسلام منهم بعد نزولها، ونبهنا على ما في ذلك من غلو ومناقضة للتقريرات القرآنية المتضمنة لأحكام محكمة بعدم قتال غير الأعداء، وترك المسالمين والموادين وبرهم والإقساط إليهم، ثم قال: "والآية كما هو واضح من فحواها وسياقها هي في صدد قتال المشركين المعاهدين الناقضين لعهدهم وحسب، بحيث يسوغ القول إن اعتبارها آية سيف وجعلها شاملة لكل مشرك إطلاقاً تحميل لها بما لا يتحمله هذا السياق والفحوى"(١)

فينبغي وضع آيات السلم في مكانها وآيات الجهاد في مكانها فلكل منها حال ولا يقال أن أحدهما نسخت الأخرى "وادعاء أن آية السيف قد نسخت: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ونحوها من الآيات. كما نجده في تفسير الجلالين. ليس ذلك مقبولا، لأن آية الجهاد والشدة في حال علاقات الحرب، والآيات الأخرى تأمر بالإحسان ومكارم الأخلاق في حال السلم، فكل من الآيات خاص بوقته المناسب له، وليس ذلك من النسخ. وغير ذلك مما يوجب التنبه والتحقق في هذا الأمر الخطير"(٢).

(١) في ظلال القرآن: ج ٣ ص ١٥٩٠ هـ مرجع سابق.

(٢) علوم القرآن الكريم: نور الدين محمد عتر الحلبي، الناشر: مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م ج١ ص١٣٥ .

ومما يؤيد هذا المعنى ما جاء عن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قال: " حَدَّ اللَّهُ لِلَّذِينِ عَاهَدُوا رَسُولَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، يَسِيحُونَ فِي الْأَرْضِ حَيْثُمَا شَاءُوا، وَأَجَّلَ أَجَلَ مَنْ لَيْسَ لَهُ عَهْدٌ، انسلاخَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ ، مِنْ يَوْمِ النَّحْرِ إِلَى انْسِلاَخِ الْمُحَرَّمِ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ لَيْلَةً، فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ أَمَرَهُ بِأَنْ يَضَعَ السَّيْفَ فَيمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ"(١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أيضا: قَالَ: ..... وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ بِثَلاَثٍ: "أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَأَجِيزُوا الوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ، وَنَسِيتُ الثَّالِثَةَ، وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ، سَأَلْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ: فَقَالَ مَكَّةُ، وَالمَدِينَةُ، وَاليَمَامَةُ، وَاليَمَنُ، وَقَالَ يَعْقُوبُ وَالعَرْجُ أَوَّلُ تِهَامَةَ"(٢) . وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ آخِرُ مَا عَهِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ قَالَ "لَا يُتْرَكُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ" (٣) .

وقال قتادة والضحاك بن مزاحم في قوله تعالى:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾(٤) "أمر رسول الله ﷺ أن يقاتل العرب أهل الأوثان لا يقبل منهم إلا لا إله إلا الله أو السيف، ثم أمر فيمن سواهم أن يقبل الجزية، ونزلت فيهم ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾"(٥).

---

(١) تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، ج٢٦ص٢٨ .

(٢) رواه الإمام البخاري، كِ: الجِهَادِ وَالسِّيَرِ بَابٌ: جوائز الوفد، ج٣ ص١١١١، مرجع سابق.

(٣) رواه الإمام أحمد، كِ: مسند النساء. مُسْنَدُ الصِّدِّيقَةِ عَائِشَةَ بِنْتِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ج٤٣ ص٣٧٢،مرجع سابق وقال المحقق: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل ابن إسحاق، وهو مُحَمَّد، وقد صرح بالتحديث عن صالح بن كَيْسان، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٥٦) .

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:لأبي مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)المحقق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد ط: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هم ج١ص٣٤٣

وانتهى الأمر بما رواه البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: "بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الحَجَّةِ .أي التي أَمَّر فيها رسول الله ﷺ أبا بكر على الحج في السنة التاسعة قبل حجة الوداع بسنة .فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ، نُؤَذِّنُ بِمِنًى: "أَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ"(١).

والدليل على أن آية السيف نزلت في مشركي العرب قوله تعالى:﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾(٢) فخيرهم بين الإسلام والقتال ف"المرتدين ومشركي العرب والعجم فانه لا تقبل منهم الجزية، بل يقاتلون حتى يسلموا، وهذا عند الشافعي، وأما عند أبى حنيفة فمشركوا العجم تقبل منهم الجزية كما تقبل من أهل الكتاب والمجوس، والذين لا يقبل منهم الا الإسلام أو السيف إنما هم مشركوا العرب والمرتدون فقط عنده وفي الآية دليل على إمامة أبى بكر ﷺإذ لم يتفق دعوة المخلفين إلى قتال أولى البأس الشديد لغيره من الخلفاء"(٣) .

وقال الإمام أبو السعود: قوله: "سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ" هم بنُو حنيفةَ قومُ مسيلِمَةَ الكذابِ أو غيرُهم ممن ارتدُّوا بعد رسول الله ﷺ، أو المشركونَ لقولِه تعالى: ﴿نُقَتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ أي يكونُ أحدُ الأمرينِ إما المقاتلةُ أبداً، أو الإسلام لا غيرُ كما

(١) تفسير المراغي: الإمام أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، ج ٢٦ ص ٢٨، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م .

(٢) سورة الفتح، الآية (١٦) .

(٣) روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، ج ٩ ص ٢٠، ط: دار الفكر، بيروت .

يُفصحُ عنه قراءةُ أو يسلمُوا، وأما من عداهُم فينتهي قتالَهم بالجزيةِ كما ينتهِي بالإسلام وفيه دليلٌ على إمامةِ أبي بكرٍ ﷺ"(١) .

وقال الإمام المراغي في معناها: "أي قل لهؤلاء المخلفين الذين تقدم ذكرهم- إنكم ستندبون إلى قتال قوم من أولى البأس والنجدة، فعليكم أن تخيّروهم بين أمرين: إما السيف، وإما الإسلام. وهذا حكم عام في مشركي العرب، والمرتدين يجب اتباعه"(٢).

قلت: ويؤيد ما ذهب إليه بعض العلماء أن أية السيف خاصة بالعرب ساكني الجزيرة وقتها من المشركين ما جاء في المغني: "وَرُوِيَ عَنْ أَحْمَدُ أَنَّ الْجِزْيَةَ تُقْبَلُ مِنْ جَمِيعِ الْكُفَّارِ، إلَّا عَبَدَةَ الْأَوْثَانِ مِنْ الْعَرَبِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ؛ لِأَنَّهُمْ يُقَرُّونَ عَلَى دِينِهِمْ بِالِاسْتِرْقَاقِ، فَيُقَرُّونَ بِبَذْلِ الْجِزْيَةِ، كَالْمَجُوسِ. وَحُكِيَ عَنْ مَالِكٍ، أَنَّهَا تُقْبَلُ مِنْ جَمِيعِ الْكُفَّارِ، إلَّا كُفَّارَ قُرَيْشٍ"(٣) .

رد العلماء على حديث السيف:

وحديث السيف وهو ما رواه ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإسلام، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ"(٤) فالحديث

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج٨ ص١٠٩ .

(٢) تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م، ج٢٦ص٢٨ .

(٣) المغني للإمام ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، ط: مكتبة القاهرة، ج٩ ص٢١٢ .

(٤) رواه مسلم بَابٌ: " الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله "، ك: الإِيمَانِ، ج١ص مرجع سابق٥١ .

أيضا يحمل على مشركي العرب أيضا، أو من سكنها من غير المسلمين لاتساق المعنى بينه وبين صدر سورة التوبة قال ابن حجر رحمه الله: " فَإِنْ قِيلَ مُقْتَضَى الْحَدِيثِ قِتَالُ كُلِّ مَنِ امْتَنَعَ مِنَ التَّوْحِيدِ فَكَيْفَ تُرِكَ قِتَالُ مُؤَدِّي الْجِزْيَةِ وَالْمُعَاهَدِ فَالْجَوَابُ مِنْ أَوْجُهٍ..... إلى أن قال: ثَالِثُهَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَامِّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الْخَاصُّ فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالنَّاسِ فِي قَوْلِهِ أُقَاتِلَ النَّاسَ أَيِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ رِوَايَةُ النَّسَائِيِّ بِلَفْظِ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الْمُشْرِكِينَ "(١) قلت وليس كل المشركين بل الذين سكنوا الحجاز.

يقول الشيخ الغزالي: "والحق أن الحديث في مشركي العرب الذين ضنوا على الإسلام وأهله بحق الحياة، ولم يحترموا معاهدة مبرمة ولا موثقاً مأخوذاً"(٢) وقد يحمل الحديث أيضا على من قاتلنا، ويكون المعنى أمرت أن أقاتل من قاتلنا من الناس قال ابن حجر: " وَقَدْ أطنب بن دَقِيقِ الْعِيدِ فِي شَرْحِ الْعُمْدَةِ فِي الْإِنْكَارِ عَلَى مَنِ اسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى القتل وَقَالَ لَا يَلْزَمُ مِنْ إِبَاحَةِ الْمُقَاتَلَةِ إِبَاحَةُ الْقَتْلِ لِأَن الْمُقَاتلَة مفاعله تَسْتَلْزِم وَقع الْقِتَالِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ وَلَا كَذَلِكَ الْقَتْلُ "(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في معنى الحديث "مُرَادُهُ قِتَالُ الْمُحَارِبِينَ الَّذِينَ أَذِنَ اللَّهُ فِي قِتَالِهِمْ لَمْ يُرِدْ قِتَالَ الْمُعَاهَدِينَ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِوَفَاءِ عَهْدِهِمْ "(٤) .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، بيروت، ج١ ص٧٧ .

(٢) علل وأدوية، فضيلة الشيخ: مُحَمَّد الغزالي، ص٢٦٠.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ، ج١ ص٧٦ مرجع سابق .

(٤) مجموع الفتاوى: ، ج١٩ص٢٠ مرجع سابق.

وقد يؤيد هذا ويفسره سبب وروود الحديث الذي أورده الشريف كمال الدين بن حمزة الحسيني الحنفي [1] فقد روى ابن أبي شيبة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ لَأَدْفَعَنَّ اللِّوَاءَ غَدًا إِلَى رَجُلٍ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ بِهِ" قَالَ عُمَرُ: مَا تَمَنَّيْتُ الْإِمْرَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ تَطَاوَلْتُ لَهَا ، قَالَ: فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، قُمِ اذْهَبْ فَقَاتِلْ وَلَا تَلْفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَلَمَّا قَفَّى كَرِهَ أَنْ يَلْتَفِتَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلاَمَ أُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا حَرُمَتْ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا"[2] فهو حديث حالة يطبق في مثلها، ولا ننسي أن هذا الحديث قيل عند فتح خيبر "وهي وكرة الدس والتآمر، ومركز الاستفزازات العسكرية ومعدن التحرشات وإثارة الحروب، فكانت هي الجديرة بالتفات المسلمين أولاً: أما كون خيبر بهذه الصفة، فلا ننسى أن أهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين، وأثاروا بني قريظة على الغدر والخيانة، ثم أخذوا في الاتصالات بالمنافقين- الطابور الخامس في المجتمع الإسلامي- وبغطفان وأعراب البادية. الجناح الثالث من الأحزاب. وكانوا هم أنفسهم يهيئون للقتال"[3].

---

(١) البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف: إبراهيم بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد كمال الدين ابن أحمد بن حسين، برهان الدين ابن حَمْزَة الحُسَيْنِي الحنفي الدمشقيّ (المتوفى: ١١٢٠هـ)، المحقق: سيف الدين الكاتب، ط: دار الكتاب العربي – بيروت، ج١ ص ١٦٧، قال المصنف: أخرجه أَصْحَاب الْكتب السِّتَّة عَن أبي هُرَيْرَة رَضِي الله عَنهُ ،وكذلك في سبب الورود هنا رواه أبو هريرة. قال السيوطي: وسنده صحيح.

(٢) المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، ج٧ ص ٣٩٤، ط: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ .

(٣) الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، ج ١ ص ٣٣٣،ط: دار الهلال، بيروت الطبعة: الأولى

ويا ليت هذا الأمر يتضح حتى لا يفهم حدثاء الأسنان المراد على غير وجهه فيَتَعَثَّر بِعاثور[1] المَسِيل أَو فِي خَدٍّ خَدَّه سيلُ الْمَطَرِ.

وبقي حديث يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللهِ، فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عَدَاوَتِهِ؟ .....إلى أن قال ثمَّ مَرَّ بِهِمُ الثَّالِثَةَ، فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ: " تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ "، فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ.....الحديث[2].

فقد يفهم من هذا أن رسول الله ﷺ أرسل بالسيف وأن هذا هو الأصل قلت قد كان ذلك منه صلى الله عليه وسلم على سبيل الوعيد والتخويف لهؤلاء المجرمين صناديد قريش، وأئمة الكفر الذي آذوا نبيَّنا كما يفهم من سبب ورود الحديث، والقاعدةُ الأصولية تنصُّ على أنَّ: "صُورَةَ السَّبَبِ دَاخِلَةٌ قَطْعًا عِنْدَ الْأَكْثَرِ؛ لِأَنَّ الْعَامَّ وَرَدَ لِأَجْلِهَا فَلَا يَجُوزُ إخْرَاجُهَا مِنْ الْعَامِّ"[3] ودليل ذلك أنه ﷺ عفا عمن آذاه من أهل الطائف .وهم من المشركين .حين آذوه بالحجارة حين طلب منه الملك أن يطبق عليهم الجبلين فأبى ذلك فعن عَائِشَةَ »، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: "لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ

(١) العثور أن تزلّ القدم بشيء كحفرة فيسقط صاحبها.

(٢) رواه الإمام أحمد ك:مسند المكثرين باب: مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ج ١١ ص ٦٠٩، مرجع سابق. وقال المحقق إسناده حسن.

(٣) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: حسن بن مُحَمَّد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، ج ٢ ص ٤٠، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ .

فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"(١).

المطلب الرابع

جهاد الطلب (جهاد فارس والروم)

مصطلح جهاد الطلب يبدو حديثا لأني بحثت عنه في كتب الفقه فلم أجده إلا في شرح زاد المستقنع للشيخ الشنقيطي وبه هذه الجملة "جهاد الطلب: فهو الذي يُطْلَب فيه العدو في أرضه، ويغزو المسلمون فيه الكفارَ في أرضهم، كما فعل رسول الله ﷺ، وفعَلَ الصحابة مِن بعده، والسلف الصالح مِن بعدهم"(٢) لكن ربما عبر عنه الفقهاء بفرض الكفاية كما جاء في الإقناع "فللكفار حالان: الحال الأول: أن يكونوا ببلادهم ففرض كفاية إذا فعله من فيهم كفاية سقط الحرج عن الباقين لان هذا شأن فروض الكفاية"(٣). دون توضيح أكثر من هذا، ومن الآراء الفقهية التي تبنتها بعض العقول جهاد الدفع، وجهاد الطلب، فجهاد الدفع علته الاعتداء، وجهاد الطلب – في قول البعض ـ علته فساد العقيدة، وعند البحث والاستقصاء

(١) رواه البخاري ك: بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ: إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ج٣ ص١١٨٠ مرجع سابق .

(٢) شرح زاد المستقنع للشيخ : مُحَمَّد بن مُحَمَّد المختار الشنقيطي، ط: بدون ج١٣٦ ص١٣.

(٣) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع: شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد الشربيني الخطيب القاهري الشافعي، ج٣ ص٢١١ .

نجد أن العلة واحدة في الجهادين وهي الاعتداء بمعنى أن الآخر لو اعتدى على الدعوة، أو على المستضعفين، أو تجهز لغزو المسلمين، فأطلبه من أجل الاعتداء، أو الشروع فيه.

وقد يقول قائل: لماذا لم يبعث الرسول ﷺ مجموعة من الدعاة لفارس أو الروم؟

والحقيقة أن الرسول ﷺ فعل هذا فقد أرسل كتابه إلى ملك الغساسنة الموالي للروم مع رسوله الحارث بن عمير الأزدي .فقتل الرسول، ومزق كتابه، فكان هذا سبب سرية مؤتة، فأعد جيشا بقيادة زيد بن حارثة وكانت تلك البداية في حرب الروم، كما مزق كسرى الفرس كتاب رسول الله وهذا معناه إعلان للعداء روى البخاري عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ البَحْرَيْنِ، يَدْفَعُهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ كِسْرَى حَرَّقَهُ، .فَحَسِبْتُ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ المُسَيِّبِ قَالَ .: فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ "(١) فأكمل الشيخين ما بدأه رسول الله، فكانت امتدادا لما بدأ في العهد النبوي، فأرسل أبو بكر ﷺالجيش الذي أعده رسول الله قبل وفاته بقيادة أسامة بن زيد ﷺ للروم، وأرسل جيشا آخر للفرس .

أما مقوقس مصر.فرد رداً جميلاً فدخل جيش المسلمين كدعاة بعدما أزالوا المانع الذي قاتلهم من الرومان "وقد تحدث ميخائيل الأكبر بفضل الله عليه حين بعث الله أولاد إسماعيل من بلاد الجنوب لتخليصهم من قبضة الروم، وهذه كانت الحالة العامة لشعور بلاد الشام إبان الغزوة التي وقعت في٦٣٣ "(٢) والناس على دين ملوكهم، فكان لا بد من إزالة حاجز السلطة حتى تصل الدعوة للناس باعتبار الإسلام رسالة تحرير البشر من عبودية البشر

---

(١) رواه الإمام البخاري ك: الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، باب: دَعْوَةِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَعَلَىٰ مَا يُقَاتَلُونَ عَلَيْهِ، وَمَا كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ كِسْرَىٰ، وَقَيْصَرَ، وَالدَّعْوَةِ قَبْلَ القِتَالِ، ج٤ ص ٤٥، مرجع سابق .

(٢) الدعوة إلى الإسلام. سيرت، وأرنولد، ترجمة الاستاذ: حسن إبراهيم، ص٥٣ .

للبشر، وأبان ذلك ربعي بن عامر حين خاطب رستم قائد الفرس في مقابلته له قبل معركة القادسية (١٥هـ) حين سأله عما جاء بهم، فقال: "الله ابتعثنا لنخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"(١).

فجاء اللبس في جهاد الدفع، والطلب حين الفصل بين سيرة رسول الله ﷺ، وسيرة الراشدين، والحقيقة أنها خطة متصلة بدأها رسول الله بالدعوة حين أرسل الكتب إلى ملك الفرس، فمزق كتابه، وبعث إلى ملك الغساسنة الموالي للروم فقتل رسوله، فجيش الجيوش ولم يكملها رسول الله ﷺ، فأتمها الراشدون، أما المقوقس عظيم القبط فرد رداً جميلاً، ففتحت بلاده صلحاً لا حرباً، ودخلها المسلمون كدعاة فلم يغنموا ولم يسبوا، أما ملك الحبشة، فقد قام بعمل إنساني فاستقبل المهاجرين المسلمين فحافظ على حسن الجوار، ولم يعتد بل لقد أسلم، فلم يغزهم المسلمون، "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ"(٢). وتلك قمة العبقرية والوفاء من أصحاب رسول الله لرسول الله ﷺ.

"وبهذا يتضح أن الفتوحات الإسلامية لم تأت وليدة الصدف، ولم تكن خطة الفتح ارتجالية، وإنما كانت وفق خطة واضحة، راشدة، واضحة أسسها النبي ﷺ، وسار الخلفاء الراشدون ﷺ من بعده على منهجها، فأنفذ أبو بكر ﷺبعث أسامة إلى الشام رغم ظروف

(١) تاريخ الطبري "تاريخ الرسل والملوك"، للإمام مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، ج٣ ص ٥٢٠، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧هـ.

(٢) رواه البخاري ك:الجنائز باب: التَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَازَةِ أَرْبَعًا، ج١ ص٤٤٧، مرجع سابق .

المدينة الحرجة بعد وفاة الرسول ﷺ، بسبب ردة العرب ردة عامة أو خاصة، وتطلع القوى المعادية للدعوة الإسلامية إلى القضاء على الإسلام ودولته"[1].

فقمة الفهم والعبقرية والوفاء ما قام به أصحاب النبي من بعده من كونهم طلبوا المعتدي أو من تجهز للاعتداء بنفس المنهجية التي سار عليها رسول الله فلم يغز أحدا في دياره إلا أهل مكة لما نقضوا العهد وثقيف لما تجهزوا لغزو المسلمين وعلى هذا النهج سار الخلفاء، وعلى هذا النهج نسير، فمن سالمنا سلام العدل والانصاف فله دينه، وعلينا دعوته، فالمعتبر في الكفر الدعوة، وليس القتل أو القتال.

فلسفة الجزية في الإسلام:

الإسلام يواجه الفئة المعتدية بإحدى ثنتين كفرصة أخيرة قبل القتال وهي: الإسلام، أو الجزية، فان رضوا بالإسلام، أو الجزية، فلا قتال، وفلسفة الجزية في الإسلام تقوم على الجزاء أي جزاء الدفاع عنهم، ولا يجبرهم الإسلام على الجندية في الصف المسلم، لأن المسلم يجاهد في سبيل الله، والآخر لا يعتقده (فليس من العدالة أن يجبر الفرد على بذل ماله ودمائه في سبيل رسالة لا يؤمن بها، ولو تطوع راضيا سقطت عنه الجزية ففيها معنى بدل الخدمة العسكرية)[2] فليست الجزية عوضا ماليا عن عقيدة، إنما هي بدل الجندية، فهي امتياز في صورة ضريبة لحماية المغلوبين في أموالهم وعقائدهم وأعراضهم وكرامتهم وتمكينهم من التمتع بحقوق الرعاية مع المسلمين سواء بسواء يدل على ذلك أن جميع المعاهدات التي تمت بين المسلمين وبين المغلوبين من سكان البلاد، كانت

(١) انظر: انتشار الإسلام الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين: جميل عبد الله محمد المصري، ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الحادية والعشرون، العددان الواحد والثمانون، والثاني والثمانون – المحرم – جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ، ج١ ص٧٧-٧٩ .

(٢) نظام الحرب والسلم، مصطفى السباعي، ط:مكتبة الوراق، ص٥٠ .

تنصّ على هذه الحماية في العقائد والأموال، ولقد رد أبو عبيدة على أهل (دمشق)، وبقية القواد المسلمين على أهل المدن الشامية المفتوحة ما أخذوه منهم من الجزية حين اضطر المسلمون الى مغادرتها في ظروف حربية صعبة "فَكَتَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى كُلِّ وَالٍ مِمَّنْ خَلَّفَهُ فِي الْمُدُنِ الَّتِي صَالَحَ أَهْلَهَا يَأْمُرُهُمْ أَنْ يردوا عَلَيْهِم مَا جبي مِنْهُمْ مِنَ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَقُولُوا لَهُمْ: إِنَّمَا رَدَدْنَا عَلَيْكُمْ أَمْوَالَكُمْ؛ لأَنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا مَا جُمِعَ لَنَا مِنَ الجموع، وَأَنَّكُمُ اشْتَرَطْتُمْ عَلَيْنَا أَنْ نَمْنَعَكُمْ، وَإِنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ رَدَدْنَا عَلَيْكُمْ مَا أَخَذْنَا مِنْكُمْ وَنَحْنُ لَكُمْ عَلَى الشَّرْطِ"(١).

"لقد كان فرض الجزية في الإسلام أبعد ما يكون عن الاستغلال والطمع في أموال المغلوبين، إذ كانت تفرض بمقادير قليلة على المحاربين والقادرين على العمل فحسب"(٢) وقال علي ﷺ: "إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا، ودماؤهم كدمائنا"(٣).

وكما أنها تعطي الفرصة للاطلاع على الدين الجديد، من خلال الدعوة حين الجبالية وكما أنها مقابل ما يدفعه المسلمون من الزكاة (وفرض الجزية لا يحمل معنى الامتهان والإذلال، ومعنى "صاغرون" في آية الجزية:﴿ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾(٤) هو الخضوع، إذ من معاني الصغار في اللغة الخضوع، ومنه أطلق "الصغير" على الطفل لأنه يخضع لأبويه ولمن هو أكبر منه؛ والمراد بالخضوع حينئذ الخضوع لسلطان الدولة، بحيث يكون في

(١) الخراج: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (المتوفى : ١٨٢هـ)، ط: المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد، سعد حسن محمد، ج ١ص١٥٣ .

(٢) الرسول القائد: محمود شيت خطاب (المتوفى: ١٤١٩هـ)، ط: دار الفكر – بيروت، الطبعة: السادسة – ١٤٢٢هـ، ج١ص٤٢ .

(٣) المغني لابن قدامة: ج٩ ص٢٢٣ مرجع سابق.

(٤) سورة التوبة، الآية (٢٩) .

دفع الجزية معنى الالتزام من قبل أهل الذمة بالولاء للدولة، كما تلتزم الدولة لقاء ذلك بحمايتهم ورعايتهم واحترام عقائدهم)[1]. ولذلك لا تؤخذ إلا في حال قوة الدولة.

وفلسفة الخضوع للدولة هي أن نفسية الضعيف تتبع شريعة القوي، وهذه سنة الله تعالى، فالكواكب تدور في فلك النجوم، وتغزو العلمانية[2] بلادنا لأنها شريعة الغالب، وهذا الخضوع يعطي فرصة أكثر للاستماع إلى الحق، ولماذا نعيب على الإسلام ما نقره لأمريكا اليوم، فمعظم الدول تدور في فلكها، خاضعة لسياستها، ولكن هناك فرق بين خضوع الدول للإسلام وبين غيرها، فلا كيل بمكيالين، ولا نشر لثقافة الرذيلة، وإنما هو العدل والعفة والرحمة والفضيلة.

والمستقرئ لتاريخ الإسلام، يقف على شواهد من الحضارة الإنسانية الخلاقة التي أبدعها الإسلام بأيدي المسلمين وغيرهم، وتجاور في ظلالها المسلم وغيره، في أخوة إنسانية، لم تشهد لها الإنسانية مثيلاً، على خلاف ما هو الحاصل الآن من القوى الكبرى، التي تقوم على نسخ الآخر، وهذا يختلف عن العالمية التي تقوم على الاعتراف بالآخر والتكامل معه.

وقد جاور النبي ﷺ اليهود في المدينة المنورة، فعاهدهم، وتعامل معهم، وأنصفهم، ومن أروع الشواهد على هذا ما سطّره القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ

(١) انظر: نظام السلم والحرب في الإسلام، للدكتور/ مصطفى السباعي طبعة المكتب الإسلامي– بيروت. ص٤٢، ٤٣ .

(٢) العلمانية، وأصلها الإنجليزي: **Secularism**، والترجمة الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل، ومراعاة المصلحة بعيدا عن الدين، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم، وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر، وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصر، د. مانع الجهني، ٦٧٩/٢. ط٤، الرياض: الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [1].

فقد نزلت هذه الآيات نُصرة ليهودي اتُّهم كذبا بالسرقة.

قال الإمام الطبري: وكان طعمة بن أبيرق رجلا من الأنصار، ثم أحد بني ظفر، سرق درعا لعمه كانت وديعة عنده، ثم قذفها على يهودي كان يغشاهم، يقال له زيد بن السمين، فجاء اليهودي إلى نبي الله ﷺ يهتف، فلما رأى ذلك قومه بنو ظفر جاءوا إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليعذروا صاحبهم، وكان نبي الله ﷺ قد هم بعذره، حتى أنزل الله في شأنه ما أنزل"[2].

فقد برأ الله تعالى اليهودي وأنزل فيه قرآنا يتعبد به إلى يوم القيامة، وهي قمة الإيجابية والنصفة لغير المسلمين.

❁ ❁ ❁

(١) سورة النساء، الآيات (١٠٥ . ١٠٩) .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٤٦٢/٧، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي. ط١، القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

المبحث الرابع

الإســـــلام والإرهـــــــاب

يحاول الإعلام الغربي أن يربط الإسلام بالإرهاب الذي بمعنى العنف والاعتداء على الأفراد أو الجماعات المسالمة، ونسي أنه هو من يقوم بهذا العنف تجاه العالم الإسلامي في عدد من الدول كأفغانستان، والعراق، وسوريا، وفلسطين وغيرها بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة في غيرها من الدول الإسلامية وسوف أتحدث في هذا المبحث عن ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: مفهوم الإرهـاب .

المطلب الثاني: طبيعة الإنسان الغربي .

المطلب الثالث: فتح البلاد بالتقدم العلمي .

المطلب الأول

مفهـــوم الإرهـــــاب

الإرهاب مصدر: أرهب يرهب، وهو مأخوذ من "رهب" الّتي تدلّ على الخوف.

قال الرّاغب: "الرَّهْبَةُ والرُّهْبُ: مخافة مع تحرّز واضطراب، قال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾[2]، وقرئ: مِنَ الرَّهَبِ[3] ،أي:الفزع. قال مقاتل: خرجت ألتمس تفسير الرّهب، فلقيت أعرابيّة وأنا آكل، فقالت: يا عبد الله،

---

(١) سورة الحشر، الآية (١٣) .

(٢) سورة القصص، الآية (٣٢) .

(٣) قَرَأَ نَافِع وَابْن كثير وَأَبُو عَمْرو (الرَّهَبِ) بِفَتْح الرَّاء وَالْهَاء وَقَرَأَ حَفْص الرهب بِفَتْح الرَّاء وَسُكُون الْهَاء، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (الرُّهْبِ) بِضَم الرَّاء وَسُكُون الْهَاء . حجة القراءات: عبد الرحمن بن مُحَمَّد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، ج١ ص٥٤٤، ط: دار الرسالة.

تصدّق عليّ، فملأت كفّي لأدفع إليها، فقالت: هاهنا في رَهْبِي ،أي: كمّي. والأوّل أصحّ. قال تعالى:﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾[3]، أي: حملوهم على أن يَرْهَبُوا، وقال تعالى:﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾[4] أي: فخافون" [5] والإرهاب في المفهوم التراثي أقرب ما يكون إلى مفهوم الرّدع، بمعنى أنّ العدوّ إذا علم أنّك ستلحق به الهزيمة، أو أنّك أعددت له العدّة ربما حدث له من الخوف ما يمنعه من المحاربة، وإلحاق الأذى بالمسلمين، فسالم واستسلم للواقع، وهذا أمر مطلوب قال تعالى:﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[6] (فعبارة ترهبون ليست بمعنى تعتدون، وإنما هي لردع وتخويف من يريد الدخول في قتال ،فهو إجراء احترازي دفاعي موجه لأعداء الله، وأعداء المسلمين الذين يريدون الاعتداء على حقوقهم، وليس موجها لأديان، أو ثقافات، أو حضارات)[7].

بيد أن مفهوم الإرهاب تغير في العصر الحديث، وأصبح لهذه الكلمة في معناها المعاصر وقع سيّء جدّا، لارتباطها في أذهان النّاس بترويع الآمنين، وتخريب العمران، بغضّ النّظر

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (٩٠) .

(٢) سورة الأنفال، الآية (٦٠) .

(٣) سورة الأعراف، الآية (١١٦) .

(٤) سورة البقرة، الآية (٤٠) .

(٥) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ج١ ص ٣٦٦، ط: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ

(٦) سورة الأنفال، الآية (٦٠) .

(٧) انظر: شركاء لا أوصياء، د/ حامد بن أحمد الرفاعي، الأمين العام المساعد لمؤتمر العالم الإسلامي ورئيس المنتدى المنتدى الإسلامي العالمي للحوار، ص٣٦٣-٣٦٥ .

عمّن توجّه إليهم الضّربات الإرهابيّة وتفزعهم، وقد جاء في تعريف الإرهاب: هو بثّ الرّعب الّذي يثير الجسم والعقل"[1] مع ما يصاحبه من عنف مع من ليس بينك وبينه مشكلة.

وهذا النوع من أنواع الإرهاب هو الّذي يرفضه الإسلام، وكونه يلصق بالإسلام حوب كبير، ورأي به كلالة ظاهرة، وكلام جنب، وليس من الحقيقة في شيء، ولما يأتي الناس من هذا خبر أذاعوا به دون رده لأربابه، وهم بهذا يبتكن آذان الحقيقة، لكن لن نستنكف أن نظهر الحقيقة لقوم سماعون للكذب، فالمسلم لا يجل له أن يروّع أحدا حتى عن دون قصد وإن كان أخاه لأبيه وأمه فعن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ، قال: قَالَ رسول الله ﷺ: "مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ"[2].

قال الإمام النووي:" فِيهِ تَأْكِيدُ حُرْمَةِ الْمُسْلِمِ وَالنَّهْيُ الشَّدِيدُ عَنْ تَرْوِيعِهِ وَتَخْوِيفِهِ وَالتَّعَرُّضِ لَهُ بِمَا قَدْ يُؤْذِيهِ وَقَوْلُهُ ﷺ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ مُبَالَغَةٌ فِي إِيضَاحِ عُمُومِ النَّهْيِ فِي كُلِّ أَحَدٍ سَوَاءٌ مَنْ يُتَّهَمُ فِيهِ وَمَنْ لَا يُتَّهَمُ وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا هَزْلًا وَلَعِبًا أَمْ لَا لِأَنَّ تَرْوِيعَ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ وَلِأَنَّهُ قَدْ يَسْبِقُهُ السِّلَاحُ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى وَلَعْنُ الْمَلَائِكَةِ لَهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ حَرَامٌ"[3].

وعن عبدِ الرحمن بنِ أبي ليلى قال حدَّثنا أصحابُ محمدٍ – ﷺ .أنهم كانوا يسيرونَ مع النبيِّ ﷺ فنامَ رجُلٌ منهم، فانطلقَ بعضُهُم إلى حَبْلٍ معه فأخذه، ففزعَ، فقال رسولُ اللهﷺ

(١) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص ٤٢٣ .

(٢) رواه الإمام مسلم، ك: الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، باب: بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسِّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ، ، ج٤ ص ٢٠٢٠، مرجع سابق

(٣) شرح صحيح مسلم: ك: الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، باب: بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسِّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ،المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج ١٦ ص ١٧٠، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت .

"لا يَحِلُّ لمسلم أن يُرَوِّعَ مُسْلِماً"(١) قلت والحال ينطبق على غير المسلم، فلا يبيح الإسلام ترويع أحد .

فالإرهاب نوعان: محمود ومذموم. فأمّا المحمود فهو ما استعمل في تخويف العصاة، والمجرمين، والمعتدين لصدّهم، وكفّ أذاهم عن النّاس.

وأمّا المذموم فهو استخدام العنف مع من ليس بينك وبينه مشكلة من ترويع الآمنين، وإزهاق أرواح الغافلين من الناس، فالإرهاب بمعنى العنف نهى عنه الإسلام، أما الإرهاب بمعن إخافة الآخر حتى لا يعتدي، فهذا هو الذي يؤدي إلى السلام .

وما يحدث من عمليات إرهابية من فرادى الناس. وهي بالطبع لا يقرها الإسلام. بسبب المناخ الرديء الذي يعيشه العالم من الظلم والقهر، فالسلام كي ينبت يلزمه بيئة نظيفة وملائمة كأي كائن حي، فنحن نلوم العنف لكن نغفل عن سببه، ولو انتشر العدل بين العالم لمات الإرهاب فالجراثيم لا تتكاثر إلا في الأماكن السيئة، والوقاية خير من العلاج .

من الإرهابي حقا:

يرمى الإسلام بالإرهاب، وهذا دم كذب، رمى من به الداء وانسل، وسكرت أبصار القوم عن الحقيقة، لكنهم ما اسطاعوا تغييبها، وخر عليهم السقف فلم نجد للقوم أثاثاً ولا رئيا، فبضاعتهم من السلام أثل وشيء من سدر قليل، فحقيق على هؤلاء ألا يأخذوا عرض هذا الأدنى، وينظروا إلى السلام في الإسلام بعين الحقيقة ،وأنهم هم الذين يفتقدون السلام .

---

(١) رواه الإمام أبو داود، ك: الأدب، باب: من يأخذ الشيء على المزاح ، ج٤ ص ٣٠١، ،مرجع سابق، وصححه الشيخ الألباني

يقول الكاتب والسياسي وأستاذ القانون الدولي في ألمانيا الدكتور/ يورجن تودنهوفر[١]: أعتقد بأننا صنعنا كذبة مريحة في حياتنا كذبة نحن الصالحين نحن الذين نمد يد المساعدة، ونحن المثل الأعلى، ولكن الحقيقة عكس ذلك أعتقد بأننا في الغرب لم نسيطر على العالم من أجل فكرنا الرائع، أو لقيمنا النبيلة، أو لعظمة ديننا، ولكن لأننا استخدمنا العنف بلا رحمة أكثر من الآخرين، لم يكن المسلمون هم الذين ذبحوا أكثر من أربعة ملايين من البشر.أثناء الحروب والحملات الصليبية، لم يكن المسلمون من قتلوا خمسين مليون إنسان أثناء الاستعمار، لم يكن المسلمون من قتلوا سبعين مليون إنسان في الحرب العالمية الاولى والثانية، ولم يكن المسلمون من قتل ستة ملايين من اليهود ولكن كان هذا حصيلة العالم الغربي)[٢].

وقال في كتابه عن الاستعمار الغربي للشرق الأوسط: "لقد كان المثال المحتذى في معاملة الغرب للعرب هو استراتيجية الإبادة التي مارستها أمريكا ضد الهنود الحمر"[٣].

وقال في موضع آخر يفسر لماذا يصنع الغرب بالعرب هذا ويرجعها للنظرة الدنيا للعرب فيقول: "نشر.المؤرخ الفرنسي.توكفيل[٤]. في كتابه حول الديمقراطية في كتابه عام **١٨٣٥** قال فيه:

---

(١) ولد يورجن تودينهوفر في(١٢) نوفمبر ١٩٤٠بمدينة أوفنبرج بولاية بادن بألمانيا وكان والده يعمل قاضيا درس يورجن علوم القانون في جامعات ميونخ وحصل على الدكتوراة في القانون الدولي من جامعة فرايبرج ١٩٦٩ واشتغل بالإعلام عبر دار نشر بوردا الكبرى عام ١٩٨٧ وهو الآن يشغل منصب نائب المدير العام فيها. أنظر لماذا تقتل يا زيد ص١٤مرجع سابق.

(٢) انظر: لماذا تقتل يا زيد، د/ يورجنتودينهوفر، ط:الدار المصرية اللبنانية ترجمة د:حارس فهمي سليم محمد ص٢٣٣، وانظر: التسجيل تلفزيوني له على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=a72FfurX0oM

(٣) لماذا تقتل يا زيد، ص٢٠٨، مرجع سابق .

(٤) توكفيل، ألكسيس دو، (١٨٠٥ – ١٨٥٩م): مؤرخ ومنظر سياسي فرنسي، تُعتبر دراسته في الديمقراطية الأمريكية والثورة الفرنسية من أهم البحوث الاجتماعية في القرن التاسع عشر، وأبعدها أثرها. انظر: معجم أعلام المورد لمنير البعلبكي ص١٤٦، ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م.

"لا يسع المرء حينما يتابع أحداث العالم إلا أن يقتنع بأن الأوربيين بالنسبة لغيرهم من الأجناس البشرية الأخرى كالإنسان بالنسبة للحيوان فهو يسخرهم لخدمته وحين لا يتمكن من إخضاعهم له يقوم بسحقهم" ثم يعقب يورجن على هذا ويقول: "وبهذا المبدأ تعامل الغرب مع العالم الإسلامي طوال المئتي سنة الأخيرة ،فخلال استعمار فرنسا للجزائر على سبيل المثال طوردت العائلات والأسر المسلمة وكأنها ضباع وذئاب وثعالب جرباء"(١).

وفي حين أنه يقول عن المسلمين: "خلال المئتي سنة الأخيرة لم يقم أي بلد إسلامي بالهجوم على الغرب ولو لمرة واحدة إن القوى من أوربا الغربية والولايات الأمريكية كانت دائما هي المعتدية"(٢) .

ثم يقول: "لقد سرق الاستعمار من العالم العربي أكثر من مائة سنة من التقدم، وقد عبر توكفيل بأسف عن هذه الحقيقة بقوله انطفأت الأنوار حيث جعلنا المجتمع الإسلامي أكثر فقرا وجهلا وبؤسا وأقل إنسانية"(٣) .

ومع ذلك فإننا نقبل الآخر، وغيرنا هو الذي لا يقبل إلا من كان على دينه قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾(٤) وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(٥) والواقع يؤيد هذا، فالذين يقاتلون المسلمين قتالاً عقدياً هم غير المسلمين مثل ما يحدث في معظم الدول من اضطهاد للأقليات الإسلامية

(١) لماذا تقتل يا زيد، ص٢٠٥ .

(٢) المرجع السابق ص٢١١.

(٣) لماذا تقتل يا زيد ، ص٢١٥ .

(٤) سورة البقرة، الآية (٢١٧) .

(٥) سورة البقرة، الآية (١٢٠) .

وآخرها ما يحدث لمسلمي الروهينجا"[1] ومثل ما حدث من الصرب مع مسلمي البوسنة[2] وغيرهم كثير. فمن الإرهابي إذاً .

المطلب الثاني

طبيعة الإنسان الغربي

تكمن الخطورة في طبيعة الإنسان الغربي، والذي صاغه عبر السنين بعض المفكرين الغربيين والذي برمجوه على أنه ذو طبيعة مادية فقط، فأثرت هذه البيئة من الأفكار في الطبيعة الإنسانية (وهذه الطبيعة الإنسانية ليست قوية وصلبة، وليست معصومة من الخطأ وإنما هي ضعيفة ورقيقة، ومن السهل أن تتغلب عليها العادة والضغط الثقافي

(١) جاءتني هذه رسالة على الإيميل من الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، بتاريخ:٨شعبان ١٤٣٦هـ الموافق/٥/٢٠١٥ وفحواها "إن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يعتبر ما حدث من حكومة جمهورية اتحاد ميانمار ضد المسلمين الروهينجا: كارثة إنسانية وأخلاقية، ليست في وجه ميانمار فقط، وإنما في وجه العالم أجمع، بعد أن تم ترك ما يزيد عن ٢٥ ألف روهينجي مسلم في عرض البحر دون مأوى، ولا طعام ولا شراب، ومن بينهم نساء وأطفال، بعد أن تم تهجيرهم قسراً من بلادهم، ورفض البلاد المجاورة أن تساعدهم أو تستقبلهم كلاجئين، ما اضطرهم إلى أكل أحبال السفن التي يستقلونها ليبقوا على قيد الحياة. ولا حول ولا قوة إلا بالله).وللمزيد من الاضطهاد ضد الروهينجا طالع موقع رابطة العالم الإسلامي على الشبكة الدولية.

(٢) ارتكب الجنود الصرب فظائع كثيرة في حق المسلمين البوسنيين، وكان كل شيء بعلم الكنيسة الأرثوذكسية وأوامرها؛ فتم اغتصاب آلاف الفتيات، حتى أنه من كثرتهم لم يتوصل إلى إحصائية دقيقة تعبر عن عدد المغتصبات، وتشير بعض التقديرات إلى اغتصاب حوالي (٦٠ ألف سيدة وفتاة وطفلة) بوسنية حتى (فبراير ١٩٩٣م) وخلفت الحرب وراءها: ١٥٠ ألف قتيل، منهم ١٠ آلاف في "سراييفو" وحدها، بينهم ألفا طفل، طبقًا لما أوردته اللجنة التي شكلتها الحكومة البوسنية لجمع المعلومات وهو رقم متواضع بالنسبة لما خلفته الحرب بعد انتهاءها؛ حيث قدرت الأمم المتحدة خسائر الحرب بحوالي (٢٠٠ ألف قتيل) و(٢٠٠ ألف جريح ومعاق) .من موقع قصة الإسلام، إشراف: د/ راغب السرجاني.

والاتجاهات الخاطئة)[1].(فالنفس لا تتحدد من خلال عوامل الوراثة.فقط[2].بل إن نموها وتطورها من خلال تأثيرات اجتماعية)[3].

وخطورة هذا أنك تتعامل مع جسد بلا روح كأنه كائن أحادي التركيب جسد لا روح فيه، فلن يشعر بك أو يتعاطف معك، وإذا كانت الفكرة وحي السلوك، لذا بني الغرب سلوكه على هذا الفكر القاتل، ففكرة مادية الإنسان وغرائزه الحرة التي لا ينبغي أن يهذبها دين ولا قيم هي التي صاغها فرويد تعد كارثة على الإنسانية (وقد كان لآراء فرويد أثر عنيف في المجتمع الغربي ولا تكاد توجد نظرية واحدة أحدثت ما أحدثته أراء فرويد في سير المجتمعات الأوربية اللهم إلا نظرية دارون من قبله، ونظرية كارل ماركس التي سبقت فرويد ولحقته في التنفيذ، وكلها نظريات تتعامل مع الإنسان على أنه مادة)[4].

يقول عنه الكسيس كاريل[5]: (فقد أحدث فرويد أضرارا أكثر من التي أحدثها أكثر

---

(١) أهداف التربية الإسلامية، د/ ماجد عرسان الكيلاني، الأردني، ط. دار القلم، الطبعة الأولى، ج١ص ٢١٧بتصرف .

(٢) هذه اللفظة أدرجتها في كلام الكاتب لما يدل عليها في كتابه حيث قال بعدما ذكر أن شخصية البالغ يمكن رؤيتها في الطفل الرضيع فقال:"هذه هي الفكرة الأساس التي بنى عليها الكثيرون اعتقادهم بأن الشخصية تورث "الطبيعة البشرية، الفريد أدلر، ترجمة: عادل نجيب بشرى، ص٣٥ .

(٣) الطبيعة البشرية، الفريد أدلر، ترجمة: عادل نجيب بشرى، ص٢٨٢ .

(٤) الإنسان بين المادية والإسلام، مُحَّد قطب، ص ٤٣ . ٤٥، ط. دار الشروق ١٩٨٩م .

(٥)كاريل، ألكسيس:**1873-1944** م. جراح وعالم أحياء فرنسي أثبت أن الأنسجة يمكن أن تعيش بعيدة عن أعضائها إذا غُذيت بطريقة صحيحة. فازكاريل بجائزة نوبل في الطب لعام ١٩١٢م تقديرًا لجهوده في جراحة الأوعية الدموية وفي زراعة الأعضاء والأنسجة .وإبان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٨م)، طور مع الكيميائي الإنجليزي هنري داكينال محلول المطهر كاريل داكين، لعلاج الإصابات والجروح. وكاريل من مواليد ليون بفرنسا، وسافر للولايات المتحدة في عام ١٩٠٥م وعُيِّن في معهد روكفلر للأبحاث الطبية (جامعة روكفلر الآن) في عام ١٩٠٦م. عاد كاريل إلى فرنسا عند اندلاع الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ . ١٩٤٥م). ومن بين مؤلفاته الإنسان ذلك المجهول**1935** م). كما كتب بالتعاون مع الطيار تشارلز لينبير جزراعة الأعضاء)١٩٣٨م)، الموسوعة العربية العالمي ، ج١٩ ص٥٠، مرجع سابق

علماء الميكانيكا تطرفاً) [١]. ومن ذلك فكرة اختلاف الثقافات وأنها تؤدي إلى صدام الحضارات، والتي صاغها هنتنجتون[٢] في كتابه صدام الحضارات[٣].

أو فكرة فوكوياما والتي فحواها أن فكرة الديمقراطية الليبرالية الرأسمالية قد تفوقت على خصميها الفاشية والشيوعية وهذا يعتبر نهاية التاريخ [٤] وهذا معناه أنه لا يقبل بوجود حضارة أخرى بجانب الحضارة الغربية التي أثبتت صلا حيتها إلى نهاية التاريخ.

وقد تحدث إريك فروم[٥] عن الأسلوب المهيمن في المجتمع الغربي وهو أسلوب التملك المادي المبني على الجشع والحسد والعدوان، ويرى أن هذه المادية تهدد كوكبنا بالدمار ويرى البديل في سمو القيم الإنسانية وسمو الروح على المادة وتوصل إلى ما يشبه

---

(١) الإنسان ذلك المجهول، تأليف: الكسيس كاريل، ط. بدون، ص ١٤٠.

(٢) صمويل هنتنغتون: فيلسوف وعالم سياسة، وكاتب، وأستاذ جامعي واجتماعي وعالم اقتصاد أمريكي، ولد في ١٩٢٧/٤/١٨م، وتوفي ٢٠٠٨/١٢/٢٤م، عضو الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، عمل بجامعة هارفاد الأمريكية ٥٨ سنة، من أهم كتبه وسبب شهرته كتاب صراع الحضارات، وكتاب الموجة الثالثة التحول الديمقراطي في أواخر القرن العشرين"، انظر: https://ar.wikipedia.org/wiki بحجم١٢.٨ كيلوبايت (١٣,١٢٥ بايت) بتاريخOctober 09, 2016

(٣) انظر صدام الحضارات، ص ٢٠٣، مرجع سابق .

(٤) انظر: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، فرانسيس فوكوياما، ترجمة:د/ فؤاد شاهين وآخرون، ص ٢٦٧، ط:مركز الإنماء القومي.

(٥) فروم، إريك (1900 - 1980) م). كان محللاً نفسيًا اجتماعيًا ألماني المولد، أصبح مؤيدًا بارزًا لفكرة أن أغلب أغلب سلوك الإنسان هو استجابة للظروف الاجتماعية المحيطة به. وبتبني هذه الرؤية رفض فروم أغلب ما في نظرية المحلل النفساني الشهير سيجموند فرويد، إذ كان فرويد يتمسك بأن الغرائز تحدد أغل بسلوك الإنسان، ولد فروم في فرانكفورت وحصل على درجته العلمية من جامعة هايدلبيرج عام ١٩٢٢م وذهب عام ١٩٣٣م إلى الولايات المتحدة ليحاضر في معهد التحليل النفسي في شيكاغو، وأصبح مواطنًا أمريكيًا عام ١٩٤٠م، وتقلد مناصب مختلفة في معاهد التحليل النفسي في الولايات المتحدة ودرس في جامعات الولايات المتحدة والمكسيك.الموسوعة العربية العالمية، ج١٧ ص٣٥٤ .

الحل الإسلامي في الجمع ين المادة والروح فيقول:(فإن توليفا جديدا سيكون البديل الوحيد من الفوضى والخلط الشاملين التوليف بين الجوهر الروحاني للعصر. الوسيط المتأخر وتطور العلم والتفكير العقلاني منذ عصر. النهضة وهذه التوليفة هي مدينة الكينونة) (١) ويقصد مدينة الوجود الإنساني الذي يبحث عنه في ظل المادية التي تاه الناس بين أفكارها.

وتحدث فروم عن النتائج التي توصل لها بعض العلماء الغربيين والتي تتلخص في أنه "لكي يتجنب عالم الغرب دماراً مادياً محققاً. بناء على تقديرات اقتصادية خالصة. يجب تغيير القيم الأخلاقية الراهنة، وأن يقوم نظام جديد وموقف جديد من الطبيعة الإنسانية يتضمن تكاملاً إنسانياً شاملاً) (٢) .

فالقيم الأخلاقية تكمن في كونها هي الحد الفارق بين الطبيعة الإنسانية والطبيعة الحيوانية، فالإنسان بلا خلق ولا دين: إما وحش كاسر، أو ذئب غادر، أو ثعلب ماكر (ولسنا بحاجة إلى إثبات أن تاريخ أوربا هو تاريخ للغزو والاستغلال والقوة والإخضاع والقهر ولا تكاد توجد فترة أو مرحلة من التاريخ الأولى إلا كانت هذه سماتها لا يستثنى من ذلك طبقة ولا جنس ولا توجد جريمة إلا وارتكبت بما في ذلك عمليات الإبادة الجماعية لشعوب بأسرها مثل ما حدث للهنود الحمر حتى الحروب الصليبية التي جعلت من الدين ستارا لها لم تكن استثناء، فهل كان الدافع اقتصاديا أو سياسيا فحسب؟ هل كان تجار العبيد وحكام الهند، وقتلة الهنود الحمر، والبريطانيون الذين أجبروا الصينيين على فتح بلادهم لتجارة الأفيون، ومثيروا حربين عالميين وأولئك الذين يحضرون لحرب عالمية ثالثة ..... ما كانوا

(١) الإنسان بين الجوهر والمظهر، إريك فروم، ترجمة: سعد زهران، ط. عالم المعرفة، ص١٩٥ .
(٢) المرجع السابق، ص١٩٠ .

ليستطيعوا تحقيق أهدافهم لو لم تكن شهوة الغزو والانتصار جزءا من مكونات الشخصية الاجتماعية)[1].

لكن في المقابل بلغ من روحانية المسلم ورقته ما بلغ، فهل سمعت عن العلاقة الروحية حتى مع الجماد، ومن ذلك قول النبي ﷺ "أحد جبل يحبنا ونحبه"[2] والحب من أسباب السلامة ومنه قول رسول الله ﷺ "إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ"[3] قال الإمام النووي: "فِيهِ مُعْجِزَةٌ لَهُ ﷺ وَفِي هَذَا إِثْبَاتُ التَّمْيِيزِ فِي بَعْضِ الْجَمَادَاتِ وَهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْحِجَارَةِ ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[4] وَقَوْلُهُ تَعَالَى:﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[5] وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ خِلَافٌ مَشْهُورٌ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يسبح"[6] فالتفاعل مع الجماد واحترام الإسلام له بأن لا ينال بأذى لدليل على روحانية المسلم العالية، ومن ثم إذا كان هذا مع الحجر، فما بال البشر. وهناك علاقة سلام أيضا حتى مع الحيوان. الذي أحل الله لنا أكله. فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ، وَأَنَا أَرْحَمُهَا .أَوْ قَالَ: إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا .فَقَالَ: "وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ"[7] .

---

(١)الإنسان بين الجوهر والمظهر ، ص مرجع سابق١٩١.

(٢) رواه البخاري، ك: المغازي، بَاب: نُزُولِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحِجْرَ، ج ٤ ص ١٦١٠، مرجع سابق.

(٣) رواه مسلم، ك: الْفَضَائِلِ، بَاب: فَضْلِ نَسَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ج ١١ ص ٣٨١، مرجع سابق.

(٤) سورة الإسراء، الآية (٤٤) .

(٥) سورة البقرة، الآية (٧٤) .

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) ك: الْفَضَائِلِ، بَاب: فَضْلِ نَسَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ج ١٥ ص ٣٦، مرجع سابق .

(٧) رواه الإمام أحمد مُسْنَدُ الْمَكِّيِّينَ. بَقِيَّةُ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، ج٢٤ ص ٣٥٩، مرجع سابق، وقال المحقق: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير زياد بن مخراق: وهو المزني، فقد روى له البخاري في "الأدب المفرد" وأبو داود، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

فهذا صحابي جليل رق قلبه أن يذبح حيوانا قد أحل الله له ذبحه، فيسأل عن هذا الشعور، فأجابه الرسول إلى هذا، بل وقال له رحمتك به تقتضي رحمة الله بك.

القلق الغربي:

قد يقول قائل هناك بعض الأوصاف القرآنية للمشركين واليهود من نعت الأول بالنجس، والثاني بكونهم مسخوا قردة وخنازير ومن شأن تلك الأوصاف أن تولد في المشركين نوعا من الغضب، كما أن تربية النشء على هذا من شأنه أن يكن للآخر الكراهية.

قلت: إن هذه الأوصاف كانت لحالة معينة في التاريخ بالنسبة للمشركين "عَلَى مَا انْتَهَكُوا مِنْ حُرْمَةِ الْبَيْتِ، وَامْتَهَنُوهُ مِنْ نَصْبِ الْأَصْنَامِ حَوْلَهُ، وَالدُّعَاءِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ عِنْدَهُ وَالطَّوَافِ بِهِ عُرْيًا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفَاعِيلِهِمُ التِي يَكْرَهُهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ"(١).

بدليل قول الإمام الشَّافِعِي: ولا بأس أن يبيت المشرك في كل مسجد إلا المسجد الحرام"(٢).

وحين كان أهل الكتاب والصابئين على الجادة من الإيمان بالله تعالى وصفهم الله بأوصاف يستحقونها من كونهم فضلهم على العالمين، وأنهم لا خوف عليهم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (٣) .

(١) تفسير ابن كثير دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ج١ ص٣٨٩ .

(٢) تفسير الإمام الشافعي: أبو عبد الله مُحَمَّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)جمع وتحقيق ودراسة: د/ أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، ط: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، ج٢ ص٩٠٩.

(٣) سورة البقرة، الآية (٦٢) .

وقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (١) .

أَيِ: الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ نَصَارَى مِنْ أَتْبَاعِ الْمَسِيحِ وَعَلَى مِنْهَاجِ إِنْجِيلِهِ، فِيهِمْ مَوَدَّةٌ لِلإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ فِي الْجُمْلَةِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ، إِذْ كَانُوا عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ مِنَ الرِّقَّةِ وَالرَّأْفَةِ،(٢) كَمَا قَالَ تَعَالَى: "وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً""(٣).

وحين غلبت الروم النصارى الفرس المجوس سمى الله هذا نصرا من عنده فرح به المؤمنون قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ (٤) .

قَالَ ابن عباس: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ فَارِسُ عَلَى الرُّومِ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ أَوْثَانٍ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ"(٥)

ولا يصح نعت أهل الكتاب بأنهم أبناء القردة لأن هؤلاء عصوا فعوقبوا ثم ماتوا ولم يعقبوا، والموجود من أهل الكتاب هم من أبناء من بقوا منهم أي الذين لم ينلهم عقاب الله تعالى .

---

(٤) سورة المائدة، الآية (٨٢) .

(٢) تفسير ابن كثير ج٣ ص،١٦٧ مرجع سابق .

(٣) سورة الحديد ٢٧.

(٤) سورة الروم، الآيات (٢ . ٥) .

(٥) رواه الإمام أحمد، ط: مسند بني هاشم مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ج ٤ ص ٢٩٦، مرجع سابق

ومنهج إني أراكم بخير حري أن يتربى عليه النشء لتبادل الإيجابية اقتداء بشعيب عليه السلام، فنبني جسورا من المودة بدلاً من جدران الكراهية. قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ (١) .

لكن للأسف هناك صورة ذهنية سيئة في الغرب ينبغي أن تصحح "وفي التقرير الصادر عن اللجنة الرسمية، التي شكلت في بريطانيا لدراسة الموقف من الإسلام أن الشائع في الثقافة الشعبية والثقافة السياسية في الغرب أن الإسلام مصدر تهديد للدول والشعوب وللثقافة والحضارة الغربية، وأن الفكرة السائدة أن الإسلام تهديد رئيسي للسلام في العالم، وأن التعصب الإسلامي تحول إلي مصدر للاضطرابات والإرهاب، وأنه يماثل تهديد النازية والفاشية للعالم في الثلاثينيات والتهديد الشيوعي في الخمسينيات من القرن العشرين،ويقول التقرير: إن الفكرة السائدة أن الحرب مع الإسلام حتمية، وأن المتعصبين الإسلاميين يزداد عددهم وإنهم يهدفون إلي تدمير الحضارة الغربية وهم سعداء لأن هذا هو الجهاد الذي يأمر به دينهم""(٢) .

لكن هل حقا اختلاف الثقافات يؤدي بالضرورة إلى صدام الحضارات، وهل كراهية الثقافة الغربية مبرر للاعتداء، وإذا وصل هذا الشعور إلى الغرب فما أثره على الواقع؟ فهناك قلق غربي من الإسلام، وفي المقابل هناك كراهية لبعض الأفعال الغير مسئولة من الغرب، فكيف تحل هذه الإشكالية، وما خطورتها على المستقبل هل يمكن أن تنموا وتتزايد هذه المقابلة، ويضرم فيها النار .

---

(١) سورة هود، الآية (٨٤) .

(٢) موقع العربية الإخبارية على الشبكة الدولية ونسبت التقرير إلى جريدة الأهرام المصرية .

يقول هنتنجتون: "العداء الإسلامي المتزايد للغرب يمكن مقارنته بالقلق الغربي المتزايد من الخطر الإسلامي المتمثل في التطرف، إنهم ينظرون إلى الإسلام كمصدر للانتشار النووي والإرهاب، وإلى المسلمين كمهاجرين غير مرغوب فيهم في أوربا" (١).

هذا القلق المتبادل من كلا الطرفين لا بد وأن يبحث له عن حل، ولا بد من مواجهة الواقع، فالسلام الموجود اليوم سلام مزيف، والإسلام حريص على السلام بصدق، ويمد يداه بها، لكن لا بد من الطرف الآخر أن يكون عنده نفس الإيجابية أعتقد نحن في حاجة لالتماس الحلول المنطقية التي ترضي الجميع من ناحية بعض التطمينات للغرب من خلال أن الإسلام يعترف بتعدد الثقافات، وأن عندنا تكامل حضارات، فإن اختلفت النظرة إلى الثقافة الجنسية مثلا، فالمعتبر في المعصية بالنسبة لغير المسلم هو الدعوة ،كما يفعل مع الكفر، وليس بعد الكفر ذنب، كما أنه يجب أن يكف الغرب عن الاستعلاء والظلم، فالتبادلية الايجابية من الطرفين تؤدي إلى السلام، بدلاً هذه من التبادلية السلبية.

وعلى الغرب أن يظهر إيجابية تجاه السلام أكثر من هذا، فالإرهاب ينمو في مثل هذه البيئة المليئة بالظلم "والإرهاب يزداد نموا مع موت كل طفل مسلم تقتله القنابل الغربية إننا نغرق كل يوم بل نغوص بعمق في مستنقع سياساتنا" (٢).

"والخطر الرئيسي- المحيق بنا لا يكمن في سياسة الاسترضاء إنما يكمن في أن بعض القوميين(٣) الغربيين من أصحاب استراتيجيات المقاعد الوثيرة الذين لا يسمحون لأحد أن

---

(١) صدام الحضارات، صامويل هنتنجتون، ترجمة: طلعت الشايب، ط:ثانية، ١٩٩٩م، ص٣٤٧.

(٢) انظر: لماذا تقتل يا زيد، ص٢٧١ مرجع السابق .

(٣) القومية: تعني الانتماء إلى أمة معينة والتعلق بها، وهي حركة سياسية تنادي بحق كل أمة في أن تكون وحدة سياسية مستقلة، وقد نمت هذه الحركة في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، وصارت من القوى الكبرى الموجهة لتاريخ أوروبا السياسي خلال ذلك القرن. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، علي مولا ٢٦٠٤/٦. ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

يسلبهم نظرتهم الضيقة للعالم وعنصريتهم غير المعلنة يريدون أن يسوقوا العالم إلى تلقائية حمقاء من العنف والعنف المضاد بشكل يشبه أولئك الذين قادوا العالم إلى الحرب العالمية الأولى" (١).

"إن الاستراتيجية الصحيحة تجاه العالم الإسلامي تكمن في فن الدولة وليس فن الحرب...إن نظاما عالميا عادلا هو الوحيد القادر على حرمان الإرهابيين من أرضية خصبة ينموا فيها وعليها" (٢) .

المطلب الثالث

فتح البلاد بالتقدم العلمي

الفتح قد يكون بالصلح والمعاهدات، وقد سمى الله صلح الحديبية فتحا فعن أَبُي وَائِلٍ، قَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ، فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟ فَقَالَ: ﴿بَلَى﴾. فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتْلاَنَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلاَهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: ﴿بَلَى﴾، قَالَ: فَعَلاَمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: ﴿يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا﴾، فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ فَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ"(٣).

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٢٧٩ .

(٢) انظر: لماذا تقتل يا زيد، ص٢٧٩، مرجع السابق .

(٣) رواه البخاري ك: الجِزْيَةِ، باب: بدون، ج٤ ص١٠٣، مرجع سابق .

وقد يقوم التقدم التقني والاقتصادي أيضا بفتح قلوب الناس للإسلام، فالتفوق المادي والتكنولوجي يعتبر جذبا للآخر، ولا ننسى أن تخلفنا قد يكون سببا رئيسا في إعراض البعض عن ديننا، وإذا كان الهدف من خلق الإنسان هو العمارة، والعبادة، فينبغي أن نستثمر الجهود في تقدم أمتنا، وإلا سوف يحاسبنا الله كوننا فتنة لغيرنا، حيث يقول الآخر إذا كان الإسلام يدعو للتقدم فما بال هؤلاء في ذيل الأمم، وفلسفة إخضاع السلطات الطاغية لم يعد بالحروب فقط، وإنما قد يقوم مقامه التقدم التقني، فالمغلوب في هذا المجال يتبع شريعة الغالب، وليس أدل على ذلك من انتشار المذاهب الغربية المعاصرة في بلادنا.

العالم تغير:

لقد تغير العالم، وهذا التغير يقتضي مرونة في النظر الشرعي، تصوغ من النصوص الشرعية ما تصلح به أحوال الناس، وهذا أمر معتبر عند علماء الشريعة الإسلامية، فتغير الفتوى عندهم مراعاة للزمان وللمكان، وليس تغيرَ دليل وحجة وبرهان.

ومما يُذكر في هذا الصدد، أن الشيخ ابن أبي زيد " اتَّخَذَ كَلْبًا فِي دَارِهِ حِينَ وَقَعَ حَائِطٌ مِنْهَا وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ الشِّيعَةِ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ. يعني مالك يكرهه. فَقَالَ لَوْ أَدْرَكَ مَالِكٌ زَمَنَنَا لَاتَّخَذَ أَسَدًا ضَارِيًا"(١).

وكثير من دول العالم الحديث اختلط بهم المسلمون، وقد يكون هذا من أسباب منع القتال قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم

(١) منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: ١٢٩٩هـ)، ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة: بدون طبعة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج٤ ص٤٥٣ .

مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1].

كما أن هناك بعثات دبلوماسية وسفراء يمثلون الدول من الناحيتين، واتفاقات دولية تعرف بميثاق الأمم المتحدة، وهناك ما يتفرع عنه من اليونسكو[2]، والتي تنص على اتفاقات تربوية وتنموية، عدا ما فيها من بنود تخالف الشريعة، مثل الاتفاقات التي تنزع إلى العنصرية، والتفريق بين الدول.

كما أصبحت حرية الدعوة مكفولة، وأصبح نشر الإسلام لا يتوقف على المقيمين في تلك الدول، بل يمكن للدعوة أن تصل لكل أنحاء الدنيا عن طريق وسائل الاتصال الحديثة، والتي تطال أهل الأرض جميعا دون إذن، وتقصيرنا ظاهر في هذا المجال، (فهناك ثلاثة مليارات من سكان العالم يعيشون ويموتون دون أن يعرفوا شيئا عن الإسلام بالإيجاب، أو بالسلب، بالمدح، أو بالذم، وهؤلاء يمثلون أكثر الناس في آسيا، وأفريقيا، وأمريكا الجنوبية، والثلاثة مليارات الأخرى عرفت الإسلام صورة مشوهة، ونحن مسئولون عن هذه الأمم، فينبغي تفعيل الإذاعات الموجهة والفضائيات، وشبكة المعلومات، بلغات هؤلاء الناس والتي تستطيع أن تخترق الأسوار وتدخل البيوت، لا تحتاج إلى إذن وهذه تحتاج إلى جيوش

---

(١) سورة الفتح، الآية (٢٥) .

(٢) منظمة متخصصة من منظمات هيئة الأمم المتحدة اسمها بالكامل منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة. وقد اتفقت الدول التي تنتمي إليها على الإسهام في إقرار السلام والأمن عن طريق التعاون في مجالات التربية والعلوم والثقافة. تضم المنظمة حوالي ١٦٠ دولة، بما في ذلك معظم الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة. وتتولى الدول الأعضاء دفع معظم إيراداتها. تأسست منظمة اليونسكو عام ١٩٤٦م. ومقرها الرئيسي باريس. وهي تسعى لتحقيق المزيد من العدل والتعاون وحقوق الإنسان والحريات الأساسية لكل الأفراد. وتقوم اليونسكو بتنفيذ برامج لتطوير هذه الأهداف بناءً على طلب أي عضو فيها. ولا يتسنى تنفيذ معظم قراراتها إلا إذا قامت حكومات الدول الأعضاء باتخاذ بعض الإجراءات داخل دولها. الموسوعة العربية العالمية ج٢٧ ص٤١٧ .

من المدربين، وهذا هو الجهاد المطلوب من أمتنا اليوم، فنحن نجيد جهاد الموت، ولا نجيد جهاد الحياة)[1].

نعم، المسلمون بحاجة إلى التدرب على فن التواصل الفعال، القائم على المعرفة التامة بالنفس، والمعرفة الواعية بالغير، وكيفية الوصول إليه.

❁❁❁

(١) انظر: فقه الجهاد، د/ يوسف القرضاوي، ج٢ ص١١٩٢، مرجع سابق .

المبحث الخامس

غاية السلام في الإسلام

غاية المسلم من الحياة أن تسلم نفسه، ويسلم منه غيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾(١) .

وطالما كان الآخر مسالما فسلامه واجب، قال تعالى:﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾(٢) والغاية التي ترجى من السلام سأذكرها في مطلبين هما

المطلب الأول: التعايش والتكامل .

المطلب الثاني: الحوار والتعارف .

المطلب الأول

التعايش والتكامل

التعايش والتكامل من أهم أولويات المسلم ودائما ما يبني الجسور من التسامح مع الأخر يقول يورجن: "لقد كان التسامح مع النصارى واليهود قانون وفخر المدنية الإسلامية" (٣) .

ونلمح من صحيفة المدينة والتي بني بها رسول الله علاقات صحيحة ورائدة تتيح التعددية الثقافية والتي تحقق العيش المشترك للجميع، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: "وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَادَعَ فِيهِ يَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ، وَأَقَرَّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،

---

(١) رواه النسائي كِتَابُ: الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِهِ، باب: صِفَةُ الْمُؤْمِنِ، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ج٨ ص ١٠٤، وقال الالباني حسن صحيح .

(٢) سورة النساء، الآية (٩٠) .

(٣) لماذا تقتل يا زيد، ص٢٣٤، مرجع سابق.

وَشَرَطَ لَهُمْ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ، فَلَحِقَ بِهِمْ، وَجَاهَدَ مَعَهُمْ، إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ... إلى أن قال: وَإِنَّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسْوَةَ، غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصَرِينَ عَلَيْهِمْ....الخ "[1] فإذا كان هذا في المشركين فأهل الكتاب من باب أولى، ومن ثم تنازل رسول الله عن بعض الشروط التي بها إجحاف للمسلمين في صلح الحديبية رغبة في السلام.

ويهدف السلام إلى صهر الناس في بوتقة الأخوة وإعادة الأغصان المقطوعة إلى فروعها، فإذا كانت الرحم واحدة التي ينتمي إليها البشر، فبالتالي الناس جميعا أسرة واحدة كبيرة، وهذا ما قرره القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبٗا﴾[2] فقرر الإسلام وحدة الجنس، والنسب، وفكرة القومية الضيقة تخالف النظرية الكلية عن الوحدة البشرية، وقد جاء الإسلام لتحقيق دوائر الأخوة، أخوة النسب، وأخوة الإيمان، والأخوة الإنسانية، فقرر وحدة النسب البشري ،وقضى على كل مظاهر الفرقة والخلاف، وأحيا الأخوة الإنسانية ونلمح هذا في وصف الأنبياء بالأخوة لقومهم مع مخالفتهم لهم في العقيدة، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[3]

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)،تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبيط، ج١ ص ٥٠١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية .

(٢) سورة النساء، الآية (١) .

(٣) سورة الأعراف، الآية (٦٥) .

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1] [2].

ولقد أعطى الإسلام صورة رائعة في احترام الآخر حتى ولو كان ميتا عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ، فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالاَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: أَلَيْسَتْ نَفْسًا "[3]

فقد أحيا النبي ﷺ في النفوس احترام إنسانية الفرد بعيداً عن لونه أو عقيدته .

وقد كان قبل أحيا عملية الإخاء بين المهاجرين والأنصار. وهي أخوة خاصة. بعدما أحيا القرآن الأخوة العامة، ونحن في حاجة لإحياء هذه السنة سواء الخاصة منها أو العامة .

المطلب الثاني

الحوار والتعارف

يهدف الإسلام إلى خلق جو من الحوار قامته العدل يؤدي إلى اتباع الحق بصرف النظر عمن يحمله، فالأصل أن تكون الدعوة بالحوار تنطلق من اعتبار أحد الطرفين المتحاورين على حق أو باطل، وهذا قمة العدل والقسط قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[4] والجهاد بالحوار هو الأصل خاصة ونحن نعيش زمن الانفتاح

(١) سورة العنكبوت، الآية (٣٦) .

(٢) تقرير عن ثقافة السلام، ترجمة: محسن يوسف، منتدى الإصلاح العربي مكتبة الإسكندرية، ص ٦٣ .

(٣) رواه البخاري: ك: الجَنَائِزِ، باب: مَنْ قَامَ لِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ، ج١ ص٤٤١، مرجع سابق .

(٤) سورة سبأ، الآية (٢٤) .

والتواصل بين المجتمعات، وتغمرنا ثورة الاتصالات، وتتمتع الشعوب بحرية التواصل على أوسع نطاق.

والتعايش لا بد له من تعارف، والتكامل لا بد له من حوار لذا شرع الله التعارف بين الناس باعتبار الأصل الواحد قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾[1] .

السلام لا يعني غياب الصراعات فقط، وإنما يتطلب عملية تشاركية يشجع فيها الحوار .

والتعارف عندنا شرع، والحوار دين، والدعوة إلى الله تعالى بالحوار هي الجهاد الكبير بنص القرآن العظيم قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾[2] يعني القرآن، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ "[3] حيث إن "الإكراه سلاح كل فقير في براهينه، فاشل في إقناعه، أعوزه المنطق فأسعفته العصا"[4].

ووظيفة النبي الأصيلة هي الدعوة وليس إجبار الناس قال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾[5] وقال تعالى:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ

(١) سورة الحجرات، الآية (١٣) .

(٢) سورة الفرقان، الآية(٥٢) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، ج ٦ ص ١٠٦، ط: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ .

(٤) مئة سؤال عن الإسلام، الشيخ/ محمد الغزالي، ص ١٠٩، ط: دار ثابت .

(٥) سورة البقرة، الآية (٢٧٢) .

ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٧﴾ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿٥٤﴾ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[6] وهكذا.....

والتعايش عندنا يسوده قيم البر والعدل والرحمة بين أتباعه وبين الآخر قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[7] " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي خُزَاعَةَ كَانُوا قَدْ صَالَحُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَى أَنَّ لَا يُقَاتِلُوهُ وَلَا يُعِينُوا عَلَيْهِ أَحَدًا، فَرَخَّصَ اللَّهُ فِي بِرِّهِمْ "[8] .

---

(٦) سورة يونس، الآية (١٠٨) .

(٢) سورة الغاشية، الآيتان (٢١،٢٢) .

(٢) سورة النساء، الآية (٨٠) .

(٤) سورة الأنعام، الآية (١٠٧) .

(٤) سورة الإسراء، الآية (٥٤) .

(٦) سورة سبأ، الآية (٢٨) .

(٦) سورة الممتحنة، الآية (٨) .

(٨) معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج٥ ص ٧١، مرجع سابق.

فالقوة لا تجدي في فتح القلوب (فلم تكن القوة عاملاً في انتشار القرآن قطعًا ، فقد ترك العرب المغلوبين أحرارًا في المحافظة على دينهم، وإذ اعتنقت الشعوب النصرانية دين غالبيهم فذاك لأن الفاتحين الجدد بدوا أكثر عدلاً نحوها مما كان عليها سادتها السابقين) (١).

ولاشك أن التعايش في سلام من شأنه أن تتكامل فيه الحضارات، ويشيع جوا من التعاون في المجالات المختلفة، مما يعود على الإنسانية بالتقدم والرفاهية.

بيد أن نظرة الغرب للعرب، وأفكارهم ومؤلفاتهم أمثال صدام الحضارات، ونهاية التاريخ والإنسان الأخير، وغيرها ينقض كل قول تجاه التعايش مع الغير. يقول يورجن: "كيف للعالم الإسلامي أن يؤمن بقيمنا حول كرامة الإنسان ودولة القانون بينما لا يرى منا إلا الاضطهاد والإذلال والاستغلال" (٢).

❁❁❁

(١) انظر: حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، ط:مؤسسة هنداوي للعلوم والثقافة، ص١٤.

(٢) انظر: لماذا تقتل يا زيد، ص مرجع سابق٢١٨ .

المبحث السادس

حاجة الناس إلى السلام وأثره على الواقع المعاصر

إذا كان السلام في معناه اللغوي يحمل معنى السلامة من الأذى، فهذه خلاصة ما يهدف إليه السلام وهو أن ينعم الناس في ظله بالتعايش والتكامل، والتي تنعكس على التقدم الحضاري، فالإنسان لا يبدع إلا في جو من التعايش والتكامل.

فالناس في حاجة إلى السلام لأن السلام يعني الرحمة، والسلام يعني الحياة، والسلام يعني الرفاهية، والسلام يعني الأمان، والأمان نعمة كبرى يمتن الله بها على عباده قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾[1] وبين الأمان والإطعام ارتباط فحيثما توافر الأمن أتيح الارتزاق لما من يحصل من الفكر ما يدل المرء على طعامه.

ومكفي الأمور الآمن يتفرغ إلى طاعة الله كما قال تعالى:﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[2].

والسلام يعني التقدم والتطور حيث التفكير في هدوء يمكن للإنسان الإبداع في الفكرة التي تؤهله للازدهار، ويتيح له إيلاف الرحلة والسعي التي تتيح له اكتشاف خبايا الكون وأسراره التي تتفجر بعد ذلك حضارة وازدهاراً، فالسلام ضرورة حضارية ،يعود على الجميع بالخير. فالحضارة تزدهر في مدن تتعايش في سلام، وإذا كان مفهوم السلام من حيث اللغة يعني الصحة والعافية، فكذلك تتعافى الشعوب في ظله، ويبرئ العالم من حرب تأكل الأخضر واليابس، فالتعايش السلمي ضرورة حضارية بين البشر، فبه يتطور المجتمع

(١) سورة قريش، الآية (٤) .

(٢) سورة النور، الآية (٥٥) .

ويتقدم، وهذا هو المقصود من خلق الإنسان وهو عمارة الأرض قال تعالى:﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[1] والسين والتاء للطلب وهو على الحتم والوجوب قال ابنُ العربي: "قال بعضُ علمائنا: الاستعمارُ: طلبُ العمارة، والطلب المعلق من الله تعالى على الوجوب"[2]

وعندما تنتشر الفوضى والحروب، فليس ثمة مكان لازدهار البلدان، فالسلم من شأنه أن يعطي مجالاً وافراً للبناء، فلا أضمن للازدهار الاقتصادي من انتشار السلم "وإن الانتقال من اقتصاد الحرب إلى اقتصاد السلام هو انتقال جوهري يؤدي إلى خلق فائض ميزانيات جديد، وانخفاض تدريجي في ميزانية الدفاع، وتعزيز البني التحتية، وخلق فرص اجتماعية وتثقيفية"[3]

وسوف أتحدث تحت هذا المبحث عن مطلبين هما:

المطلب الأول: أثر الحروب على الواقع.

المطلب الثاني: حلول على طريق السلام.

---

(١) سورة هود، الآية (٦١) .

(٢) اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي مُحَمَّد معوض، ج ١٠ ص ٥١٢، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م .

(٣) السلام أولاً، أوري سفير، ترجمة: بدر عقيلي، ص ١٢١، ط:دار الجليل، الأردن .

المطلب الأول
أثر الحروب على الواقع

السلام يعني الصحة والعافية للشعوب والحروب تعني العكس، فلو لم يتعايش الناس في سلام لأدى تطورهم السلاحي إلى فناء البشرية، وأصابهم ريح فيها صر أهلكت الحرث والنسل، ولا يحسبن مشعل الحرب أنه بمفازة من الآلام، فلا بد وأن يصيبه القرح، وما ينفك أن يكفكف دموعه، لكن القوم يصعدون ولا يلوون على أحد في تطورهم السلاحي، فحينها يذوب ما يصنع من حضارة، ويكون ما أنجزوه من تقدم قربانا تأكله النار، وانكفأ الحاضر في سعيه، أو صار كالوجل الوحل، أو كمن أخمصه منتعل بالشوك، أو يحدث له ما يشبه الموات فلا تحس به أو تسمع له ركزا، فيا ترى من هذا حاله يحسن تقدماً، نحن في حاجة ماسة إلى السلام في ظل حضارة تسوم البشرية شقاء بعد شقا، فحين نملك الحديد والنار، ولا نملك طاقة من الطاقات الإنسانية، فهذا ينذر بخطر عظيم ويكون الناس على شفا جرف هار، خاصة بعد ظهور شبح الإبادة الشاملة للجنس البشري من خلال صنع الأسلحة المتطورة، فعلينا أن نبحث عن أنسب الطرق التي تكفل إقامة نظام سياسي عالمي مسالم، والعمل على خلق مناخ ملائم للإبداع الثقافي والفكري، فالحرب القادمة تعني الإبادة الشاملة.

ولا يُدرك قيمةَ السلام إلا من عاش الحربَ واصطلى بنارها، ويكفي للوقوف على حقيقة ذلك ما حدث في الحرب العالمية الأولى: "فتعد الحرب العالمية الأولى إحدى أفظع الكوارث في التاريخ فقد استقطبت (٢٨) بلدا وقضت على نحو (٢١) مليون نسمة"[١].

(١) الحرب العالمية الأولى، كونراد ماسو، ص ٦٢، ط:دار المجاني .

"كما تعتبر الحرب العالمية الثانية أكثر الحروب دموية في تاريخ البشرية إذ إن معظم ضحاياها الذين تخطو "السبعين مليونا" من المدنيين لا من العساكر أي من الآباء والأمهات والبنين والبنات"(١).

يعني حربيين فقط حصدت قرابة المئة مليون من المدنيين فقط غير ما أحدثته من عاهات ومن خراب ودمار وهجرات، أما الخسائر البشرية من العسكريين فيقترب من الثلاثين مليونا جاء في الموسوعة العربية العالمية (استمرت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م). أربع سنوات وأزهقت أرواح ما يقرب من عشرة ملايين من القوات المتحاربة بينما بدأت الحرب العالمية الثانية في (١٩٣٩ - ١٩٤٥م). واستمرت ست سنوات ونتج عن هذه الحرب خسائر فادحة في الأرواح والأموال والعمران، ولم يعرف العدد الحقيقي للقتلى من جراء الحرب العالمية الثانية، فربما يقترب عدد القتلى العسكريين من نحو ١٧ مليونًا، أما القتلى المدنيون فقد كانوا أكثر من ذلك نتيجة المجاعة والغارات والقنابل والمذابح والأوبئة والأسباب الأخرى المرتبطة بالحرب بخلاف الجرحى والأسرى، وامتدت أرض المعركة إلى كل جزء من العالم تقريبًا كما أنها خلفت مشكلات اجتماعية واقتصادية عديدة)(٢).

وما فعلته الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية حين قامت بإلقاء القنبلة الذرية على اليابان في منطقة هيروشيما وناجا زاكي، أدّى إلى مقتل الآلاف، وما زالت إلى اليوم هذه المناطق خالية من أي أثر للسكان لبقاء أثر القنبلة النووية في تربتها ومائها، وما سببه من انتشار لعدد كبير من الأمراض، والأوبئة التي حصدت أرواح الملايين.

(١) الحرب العالمية الثانية: كونراد ماسو، ص ٦٢، ط:دار المجاني.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية، ج٩ ص٢١٤ مرجع سابق .

والآثار السلبية للحرب التي من الممكن أن تحدث كثيرة خاصة ونحن نعيش جوا ملتهباً يغذيه سباق التسليح بين الدول وستكون عاقبتها أكثر فظاعة نظرا للتطور الكبير الذي حدث في التسليح.

وإذا كانت البشرية اليوم تعاني من خواء روحي، وتفوق سلاحي ينذر بكارثة لا يعلم مداها إلا الله، فهي أحوج ما تكون إلى الاستجابة لنداء السلام، لنعيش جميعاً سعداء، فالأرض خلقت لنا، وهي تسعنا.

فإذا أراد أحد أن يحيد عن الركب، ولا يلوي على شيء، فينبغي أن يؤخذ على يديه، ويوضع القيد في قدميه كي لا يفسد الأرض، ويدمر ما حصده الناس من تقدم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[1] .

"فلولا أن يدفع الله شرّ الأشرار بجهاد الأخيار لفسدت الحياة، لأنّ الشر إن غلب كان الخراب والدمار"[2].

المطلب الثاني

حلول على طريق السلام

الناس في حاجة إلى السلام لأن السلام معنا الأمان ومعناه السلامة ومعناه الحضارة والتقدم ونحن في أمس الحاجة إلى السلام في هذه الايام نظرا للتقدم الرهيب في التسليح

(١) سورة البقرة، الآية (٢٥١) .

(٢) صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، ج ١ ص ١٤٣، ط: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

والذي معه ستكون الخسائر فادحة جدا في الأرواح والعمران وسوف يؤخر البشرية أعواما عديدة لتستعيد عافيتها،والشعوب بطبعها تميل إلى السلام، حتى لو كان في هذا السلام هضم لبعض حقوقها، وهذا شيء جيد ينبغي أن يستغل،ومما يدل على ذلك ما قام به معهد جالوب العالمي باستطلاع نحو الرغبة في السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين في شهر كانون الأول "ديسمبر" ٢٠٠٥م فأجاب (٦٤) بالمائة من الفلسطينيين بنعم و(٨١) بالمائة من الإسرائيليين بنعم"[١]. ولذلك هناك بعض الأطروحات التي تساعد على إعادة السلم بين العالم منها:

١ .ينبغي أن يكون هناك شيء من التسامح وغض الطرف عما مضي وفتح صفحة جديدة ويمكن أن نستنتج هذا من قول رسول الله ﷺ" أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ"[٢] "ويمكن أن نستنتج هذا أيضا من قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤ ﴾[٣] .

٢- عدم تشويه لآخر في وسائل الإعلام حتى لا يرث الجيل القادم هذا البغض يقول يورجن: "إن العالم الإسلامي مغاير تماما للصورة التي تقدمها لنا وسائل الإعلام المرئية الغربية عندما تخرج علينا بصورة مشوهة من إنتاجها لرعاع مهووسين ضد الغرب" [٤].

---

(١) السلام أولاً، أوري سفير، ترجمة: بدر عقيلي، ص ٢٣٣، ط:دار الجليل، الأردن .

(٢) رواه مسلم، كِ: الْحَجِّ، بَابُ: حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، المحقق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، ج٢ ص ٨٨٦، مرجع سابق.

(٣) سورة المائدة، الآية (٣٤) .

(٤) انظر: لماذا تقتل يا زيد، ص٢١٩، مرجع سابق .

٣- أن يعلم الجميع أن السلام في مصلحة الجميع فلو تكاتف الناس نحو المستقبل لأدى مجموع ما ينتجون لصالح البشرية كلها .

٤- لا مانع من العولمة في مجال التكنولوجيا، أما في المجال الثقافي" خاصة الدين والعرف "فلكل مجتمع أعرافه ودينه فهنا عالمية وأعني الاعتراف بثقافة الآخر "لكم دينكم ولي دين" فلا يمكن أن تفرض هذه الأشياء بالقوة لكن في مجال التقدم التكنولوجي فلا مجتمع له فنحن أعوان وشركاء فيه، نستفيد بأفكار بعضنا بعضاً .

٥- الكف عن نزعة الغلبة والاستعلاء فلو كان بإمكاننا العودة إلى الوراء، وبقليل من التريث لبقي مئات الآلاف من القتلى على قيد الحياة، فينبغي أن نتعلم من أخطاء الآخرين، فلم يعد أمامنا وقت كاف لنكرر تلك الأخطاء، وأخطاء اليوم فداحتها ليست كأخطاء الماضي فنظام التقدم الكبير في عملية التسليح والذي يغري بالفتك بالآخر نظرا لسهولة استخدامه، يغري بحرب لا تبقي ولا تذر.

٦- هناك فرق بين الدين والتدين المغلوط "فالمشكلة لا تكمن في الدين بل تكمن في الزعماء الدينيين السياسيين الذين يعينون أنفسهم ناطقين باسم الله ويشوهون الدين لصالح القوميات الضيقة"[١]. لذا وجب نشر الفكر الصحيح بين هؤلاء .

٧- ينبغي العمل على تكامل الحضارات لا صراع الحضارات في المجال التقني.

فهناك تحد كبير يواجه نجاح عملية التكامل الحضاري، وهذا التحدي نشأ بسبب العولمة وما رافقها من غزو ثقافي لأنها تدعو إلى ثقافة كونية واحدة (التكامل الحضاري التقني أصبح يشكل ضرورة إنسانية، بحكم الحاجة إلى التعايش السلمي بين الأمم والشعوب، والحاجة إلى

(١) السلام أولاً، أوري سفير، ترجمة: بدر عقيلي، ص ٩٥، ط:دار الجليل، الأردن .

الجهود مجتمعة للتقدم التقني، ويعزز هذا التواصل الهائل الذي وفرته الوسائل الحديثة، فالتقارب وإقامة علاقات تتعزز فيها حالة السلام مطلوب دون أن تذوب أية ثقافة في غيرها من الثقافات، ويعزز هذا وجود مؤسسات مجتمع دولية تدفع بالاتجاه نحو المزيد من التواصل والتفاعل بين الحضارات، وإيجاد قيم إنسانية مشتركة تشكل رافعة لكل تطلع حضاري بين الأمم والشعوب، منها: العدل، والمساواة، والرحمة ،والبر والإحسان وهناك مؤشرات إيجابية للتكامل بين الحضارات منها التغير في الصورة النمطية للآخر، والرغبة الحقيقية بالحوار معه، وتفعيل الجسور العالمية بين الحضارات، أما التحرك نحو التكامل فيحتاج إلى التمهيد بخطوات عديدة، منها اكتشاف الآخر بصورة موضوعية بعيدة عن الأحكام المسبقة، والإقرار بتكافؤ الفرص، والاحترام المتبادل، وتحديد مرجعية للتفاعل الحضاري، أما العبور إلى التكامل فأنه يمر بثلاث مراحل هي: التعارف، والتعايش، والتحالف)[1].

٨- هناك فرق بين العولمة والعالمية فالعولمة تتطلب ذوبان الأمة في بوتقة الآخرين والانسلاخ .ولو جزئياً .عن القيم الثقافية والمبادئ، والعالمية تعني الانفتاح على العالم والتكامل معه تقنيا، وتلاقح الأفكار وتبادل المعرفة دون فقد الهوية "الدين والعرف". والإسلام يقر العالمية أي عولمة الأفكار التي تتعلق بالتقدم التقني وليس عولمة الدين والعرف، فالحضارة الإسلامية تعترف بالآخر وقبلته، وتفاعلت معه أخذاً وعطاءً، بخلاف العولمة التي تعني الهيمنة والتي تقوم على نسخ الآخر وإلغاء خصوصياته الدينية والثقافية والخلقية والتشريعية.

❁ ❁ ❁

(١) من ملخص كتاب: تكامل الحضارات بين الإشكاليات والإمكانيات، د/ عطا محمد حسن زهرة، ط:إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، سلسلة كتاب: الأمة، العدد ١٦١، ٢٠١٤، من موقع الشرق العربي .

خاتمة البحث

هذه رحلة السلام والتي صحبة فيها السلام، وطاف في مخيلتي خيال تمنيت أن يكون واقعا يتعايشه الناس، أن يعيش الناس كأسرة واحدة بينهم التراحم، يبنون جسورا من المودة والرحمة بدلا من الجدران التي تبنى من الكراهية، ووجدت أن من أهم أسباب السلام تطبيق مبدأي العدالة، والحرية الدينية، فالظلم، والاستبداد إذا سادا العالم كان من أهم أسباب الحروب.

فكل وسائل السلام من هيئة الأمم، وما يتبعها من مجلس الأمن ،إلى محكمة العدل والمعاهدات الدولية، لم تنجح في إطفاء الحروب الصغيرة، فضلاً عن الكبيرة، لأنه ينقصها العدل، وتوفير الحرية الدينية، فالسلام في ظل العدالة وحرية التدين يتحقق وبدونهما فلا وجود للسلام.

فمتى يركن الناس إلى نظام العدالة الشاملة، صحيح أنه مر وقت طويل حتى استأسد الإنسان، وقد قيل: إن من التعذيب تهذيب الذيب، ومن العناء الرياضة في الكبر، والعود الرطب يقبل الانحناء فان جف لم يقبل ذلك، فأنى لهم التناوش من مكان بعيد، لكن يبقى الأمل موجودا حين نبذل جهودا مضافة لعملية السلام فمتى تستحيل ثقافتنا الغارقة في لغة السلام كائنا حيا في أعماقنا وفي عالمنا؟

(حينها قد يأتي السلام بمواجهة الأماكن القاحلة في قلوبنا من الحقد والكراهية)[1] (وعندما يكون الإنسان قادرا على صنع السلام مع نفسه حينها سيصبح قادرا على صنع السلام مع العالم)[2].

---

(١) انظر: البحث عن السلام جوان كريستوف أرنولد، ترجمة: قسطند يشومالي، مراجعة: ممدوح حليم ط:مكتبة المنار، ص ١١، ١٢، ط. أولى ٢٠٠١م

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٥٥.

ومما يساعدنا على إحياء السلام معرفة أن هذه الحياة ليست أبدية، وأن بعدها وقفة للمراجعة والحساب "فلا يوجد سلام على الإطلاق إلا بالنظر إلى الحياة الأبدية عبر الزمان كما لو كان المرء ينظر إلى منظر بعيد من أعلى جبل "[1] .

❁ ❁ ❁

وفي نهاية هذا العمل المتواضع خلصت إلى بعض النتائج والتوصيات أجملها فيما يلي:

أولا النتائج:

الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم السلم.

العدل والحرية الدينية هما أساسا السلام.

المسلمون هم الذين يحاربون حربا عقدية وليس العكس، فالدين الإسلامي دعا للحرية العقدية، أما واقع الآخر فيقول أنه هو الذي يمارس الاضطهاد ضد الأقليات المسلمة على أساس ديني .

شرع الله الجهاد من أجل السلام حيث إن إعداد القوة للردع وليس للاعتداء.

يحتاج موضوع السلام إلى مزيد من الدراسة لوضع الخطط الفعالة للسلام.

الإسلام يغرس في قلوب أتباعه حب السلام من خلال القداسة التي تحيط بالسلام من كثرة النصوص التي تتحدث عنه.

المغلوب يتبع شريعة الغالب لذا وجب علي الأمة وجوباً حتمياً "يناط بحكامها وأفرادها" أن تعمل على التقدم والرقي في جميع المجالات.

---

(١) انظر: البحث عن السلام ص ٥٩ مرجع سابق

ثانياً: التوصيات:

توفير مادة ثقافة السلام في مدارس الأطفال يتعلموا منها التفاهم والتسامح .

إنشاء قناة تلفزيونية غير منحازة لدعم ثقافة السلام وتساعد على زيادة التفاهم الدولي.

محاولة القضاء على كافة أنواع التمييز والتعصب القائمة على العرق واللون والدين واللغة .

احترام الحياة والاعتراف بحق الفرد في التعبير عن رأيه والدعوة إلى عقيدته .

تعزيز المؤسسات التي تدعو إلى السلام وتفعيلها وتمويلها لنشر ثقافة السلام في العالم .

ينبغي أن يظهر السلام بجماله وجلاله صحيح أن السلام صلب الإسلام لكنه سلام العدل والرحمة لا الخضوع ولا الخنوع، فمن سالمنا سلام العدل والإنصاف ولم يمنع هدى الله ﷻ، فله مالنا وعليه ما علينا، فالسلام ليس معناه تجنب القتال بأثمن قال تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾[1].

ينبغي أن تبذل جهود أكثر من أجل السلام فكم هو رصيد ميزانيات سباق التسلح في العالم ؟ وكم أُعد من الأموال والرجال والوسائل لأجل بناء السلام الفرق هائل بين الإعداد للحرب، والإعداد للسلام.

ينبغي انتشار الأفكار الصحيحة حول السلام ليعلم الجميع وبحق أن الإسلام دين السلام.

إذاعة أن العالم أسرة واحدة، وأخوة في الإنسانية، وهذا أصل يبنى عليه كل تكامل وتطور.

---

(١) سورة محمد، الآية (٣٥) .

نحن بحاجة إلى مراجعة أفكارنا الخاطئة، والتي قد تنقلب إلى عقيدة بمرور الوقت، وقبل أن تحرك فينا فكرة ينبغي أن نرصدها، ونفكر فيها، ولا نسمح لغيرنا أن يدخل في عقولنا مثل هذه الأفكار فكن حارسا على أفكارك .

كان الناس أمة واحدة، ثم تفرقت بهم السبل، ولا يمنع هذا من سلام يضم الجميع على أساس التعارف، لتتكامل الحضارات التقنية، لا لتتصارع الحضارات الثقافية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين؛؛؛؛

❁❁❁

المصادر المراجـــــع

١. أحكام أهل الذمة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العاروري، ط: رمادي للنشر، الدمام الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٢. الإسلام دين السلام، د/ كرم حلمي فرحات، ط:دار الآفاق العربية .

٣. الإشارة إلى أدب الإمارة، لأبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي، تحقيق د/ رضوان السيد .

٤. أصول الدعوة، د/ عبد الكريم زيدان، ط:مؤسسة الرسالة .

٥. انتشار الإسلام الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين: جميل عبد الله محمد المصري ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الحادية والعشرون - العددان الواحد والثمانون، والثاني والثمانون - المحرم - جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ .

٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ .

٧. البحث عن السلام، جوان كريستوف أرنولد، ترجمة قسطنديشومالي، مراجعة: ممدوح حليم، ط:مكتبة المنار، أولى ٢٠٠١م .

٨. البحر المحيط : أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ه ..

٩. البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف: إبراهيم بن محمد بن محمد كمال الدين ابن أحمد بن حسين، برهان الدين ابن حَمْزَة الحُسَيْني الحنفي الدمشقيّ (المتوفى: ١١٢٠هـ)، المحقق: سيف الدين الكاتب، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

١٠. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي(المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، ط: دار الهداية

١١. تاريخ الشرق الأوسط ص٣٦"kirk:Ashort history of the middle east"p" 36، نقلاً عن: كتاب "مفهوم الحرب والسلام في الاسلام، د/ إبراهيم يحي الشهابي ط:منشورات مؤسسات في للطباعة .

١٢. تاريخ الطبري "تاريخ الرسل والملوك" محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، الناشر: دار التراث – بيروت الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ه

١٣. تفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤. تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار": محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م .

١٥. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ .

١٦. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

١٧. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

١٨. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

١٩. الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي": أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

٢٠. حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ .

٢١. الحرب العالمية الأولى، كونراد ماسو، ط:دار المجاني .

٢٢. الحرب العالمية الثانية، كونراد ماسو، ط:دار المجاني .

٢٣. حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، ط:مؤسسة هنداوي للعلوم والثقافة .

٢٤. الدعوة إلى الإسلام. سيرت، وأرنولد ترجمة: حسن ابراهيم.

٢٥. الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، ط: دار الهلال، بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) الطبعة: الأولى.

٢٦. الرسول القائد: محمود شيت خطاب (المتوفى: ١٤١٩هـ)، ط: دار الفكر – بيروت الطبعة: السادسة – ١٤٢٢هـ .

٢٧. روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، ط: دار الفكر – بيروت .

٢٨. سنن أبو داود، ط: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٢٩. سنن البيهقي في الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

٣٠. سنن النسائي: ط: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب،الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ه.

٣١. السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية .

٣٢. شرح الأصول الثلاثة: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى – ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

٣٣. شركاء لا أوصياء، د/ حامد بن أحمد الرفاعي الأمين العام المساعد لمؤتمر العالم الإسلامي ورئيس المنتدى الإسلامي العالمي للحوار .

٣٤. صحيح مسلم، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٣٥. صحيح البخاري، ط: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت– بيروت لطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م .

٣٦. صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، ط: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

٣٧. العلاقات الدولية في الإسلام، الشيخ/ محمد أبو زهرة .

٣٨. علل وأدوية، فضيلة الشيخ/ محمد الغزالي.

٣٩. علوم القرآن الكريم: نور الدين محمد عتر الحلبي، الناشر: مطبعة الصباح – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

٤٠. العناية شرح الهداية: محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي (المتوفى: ٧٨٦هـ)، ط: دار الفكر الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ .

٤١. فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ: محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (المتوفى: ١٣٨٩هـ)، جمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة .

٤٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي بيروت.

٤٣. فتوح مصر والمغرب: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (المتوفى: ٢٥٧هـ)،الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، عام النشر: ١٤١٥ه .

٤٤. فقه الجهاد، د/ يوسف القرضاوي ط:مكتبة وهبة ٢٠١٠.

٤٥. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، ط: دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة: السابعة عشر، ١٤١٢هـ.

٤٦. قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، حققها: د/ عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل أحمد .

٤٧. قانون السلام في الإسلام د:محمد طلعت الغنيمي، ط:دار المعارف- الإسكندرية .
٤٨. قصة الحضارة: وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: ١٩٨١ م)، تقديم: الدكتور/ محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور/ زكي نجيب محمُود وآخرين، ط: دار الجيل، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس عام النشر: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٤٩. اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ط: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م .
٥٠. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى:٧١١هـ)، ط: دار صادر، بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ .
٥١. لماذا تقتل يا زيد، د/ يورجن تودينهوفر، ط:الدار المصرية اللبنانية، ترجمة: د/ حارس فهمي سليم محمد .
٥٢. مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٥٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ط: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ .
٥٤. مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)،المحقق: يوسف الشيخ محمد ط: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٥٥. مسند الإمام أحمد مسند بني هاشم حديث العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ه ..

٥٦. المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، ط: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ .

٥٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ .

٥٨. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية .

٥٩. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)،ط: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٦٠. المغني لابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، ط: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة.

٦١. مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ .

٦٢. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي ط: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ه .

٦٣. منح الجليل شرح مختصر خليل: محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي،(المتوفى:١٢٩٩هـ)،ط: دار الفكر، بيروت الطبعة: بدون طبعة١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

٦٤. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ .

٦٥. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ)، ط: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٦٦. الموسوعة العربية العالمية .

٦٧. موقع الأمم المتحدة على الشبكة الدولية .

٦٨. مئة سؤال عن الإسلام، الشيخ/ محمد الغزالي، ط:دار ثابت .

٦٩. النبوات: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، ط: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

٧٠. النجم الوهاج في شرح المنهاج: كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، ط: دار المنهاج (جدة)، المحقق: لجنة علمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

٧١. نظام الحرب والسلم في الإسلام، مصطفى السباعي، ط:مكتبة الوراق .

٧٢. نظام السلم والحرب في الإسلام، للدكتور/ مصطفى السباعي، طبعة المكتب الإسلامي- بيروت.